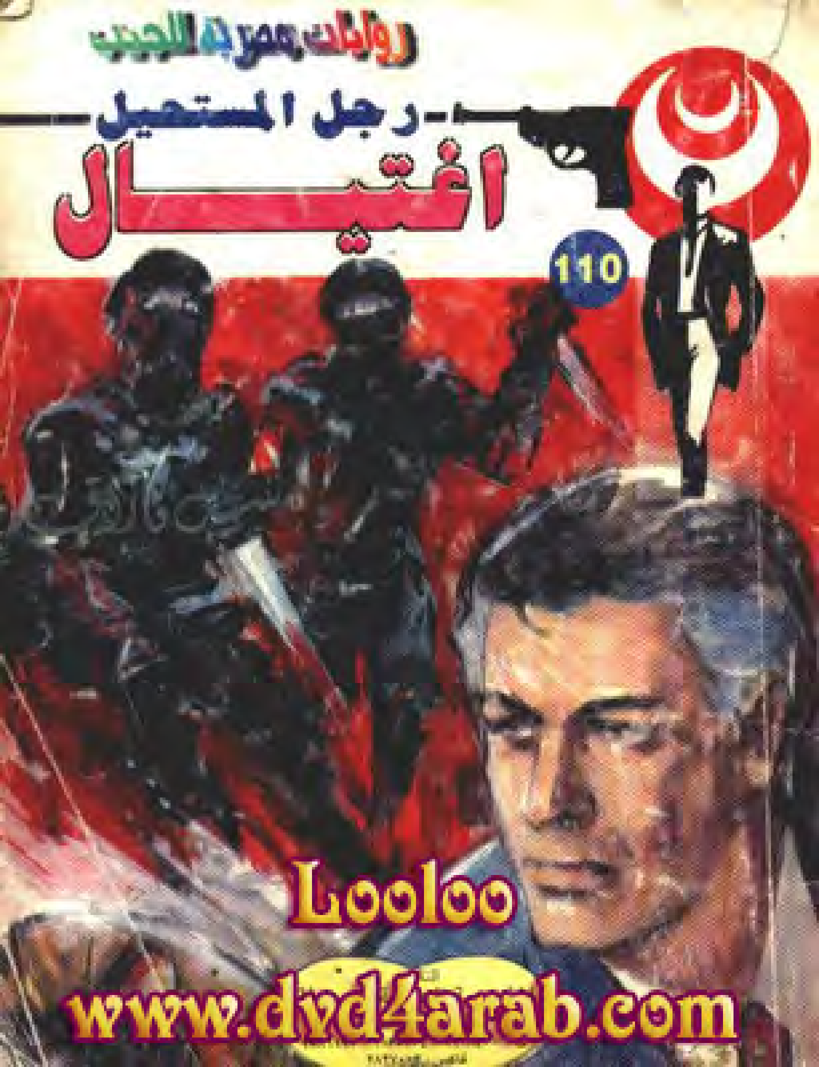

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
اغتيال
110
Loo1oo
www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الجريمة..

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد، على العاصمة اليابانية (طوكيو)، عندما انطلقت سيارة سوداء كبيرة عبر شوارعها الواسعة، متجهة نحو أطرافها، حيث المنطقة الصناعية الكبرى، التى اخترقتها بسرعة أقل نسبيًا، حتى بلغت ساحة شبه مهجورة، خلف أحد المصانع الضخمة، فتوقفت، وغادرها سائقها، مع شاب نحيل طويل، وراحا يفحصان المكان فى اهتمام بالغ، للتأكد من أن المنطقة خالية تمامًا، قبل أن يعود النحيل إلى السيارة، ويفتح بابها الخلفى، ثم ينحنى فى احترام شديد، مغمغمًا:

- كل شىء على ما يرام يا (يوشيدا) سان(*).

تطلع إليه الرجل الجالس فى السيارة، والذى بدا متين البنيان، على الرغم من سنوات عمره الخمسين، والشعر الأشيب تمامًا، الذى يكسو رأسه، وقال بلهجة من اعتاد إلقاء الأوامر طيلة عمره:

(*) كلمة (سان) تعنى (السيد المحترم) باليابانية.

- متى سيصل ذلك الصحفى ؟!

ألقى النحيل نظرة على ساعة يده ، وهو يجيب :

- المفترض أن يصل الآن يا (يوشيدا) سان .

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى برزت سيارة يابانية حمراء ، من خلف المصنع ، واتجهت نحوهم ، فاعتدل النحيل ، قائلاً :

- ها هو ذا .

تطلّع الأشيب فى اهتمام إلى السيارة ، التى أثارت خلفها سحابة من الغبار ، وهى تنطلق بسرعة ، على الجانب غير الممهّد من الطريق ، قبل أن تتوقّف على مسافة أمتار قليلة من السيارة السوداء ، ويغادرها رجل فى منتصف الأربعينات ، ممتلئ إلى حد ما ، ويبدو أنيقًا وقورًا ، فى حلة غالية الثمن ، ومع فوديه الأشيبين ، اللذين يتألّقان فى شعره الحالك السواد ..

ولثوان ، ران على الجميع صمت تام ، والقادم الجديد يتطلّع إلى السيارة ـ والرجلان أمامها ـ فى شك وحذر ، قبل أن يقول بصوت أجش :

- أين السيّد (يوشيدا) ؟

خرج الأشيب من السيارة ، ووقف إلى جوارها فى معطفه الأنيق ، وهو يقول فى شىء من الصرامة :

- هأنذا يا (موكيتا) سان .. جئت لمقابلتك بنفسى .

سأله الصحفى فى عصبية واضحة :

- لماذا اخترت هذا المكان المهجور للقاء يا(يوشيدا)؟!.. وفى هذا الموعد بالذات ؟! .. أصارحك أن الشك قد ملأ نفسى ؛ حتى إننى اتخذت كافة الاحتياطات ؛ لعودتى سالمًا .

ظلّ وجه (يوشيدا) جامدًا صارمًا ، وهو يجيب :

- إننى شخصية شهيرة ومرموقة فى عالم المال والتجارة ، وفى قلب المجتمع الراقى يا (موكيتا) سان ، ومن الطبيعى أن أسعى لتحاشى الفضول الصحفى وأعين الرقباء .

لوّح الصحفى بسبابته فى وجهه ، قائلاً فى حدة :

- فليكن يا (يوشيدا) ولكن عليك أن تعلم أن كل الوثائق التى تدينك ما زالت بحوزتى ، بما فيها من تفاصيل وقائع الرشوة والفساد ، وأسماء رجال الشرطة ، والوزراء ، وحتى رجال العصابات الذين تربطك بهم علاقات مشبوهة .. باختصار .. لدى كل ما يكفى لتدميرك .

ضمّ النحيل قبضته ، وندت منه حركة عصبية ، وكأنه يهمّ بالانقضاض على الصحفى ، ولكن (يوشيدا) استوقفه بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

- أعلم هذا يا (موكيتا) سان ، ولعل هذا هو السبب الوحيد ، الذى دفعنى لمقابلتك هنا .

أجابه الصحفى فى توتر :

- وأنا أحمل فى أعماقى جبلاً من الشك ، حول سبب هذه المقابلة يا (يوشيدا) .. وأعلم أنك مستعد لقتلى ، لو اقتضى الأمر ، حتى لا أفضح أمرك ، ولهذا اتخذت كل الاحتياطات اللازمة ، قبل أن آتى لمقابلتك وحدى هنا .

قال (يوشيدا) فى برود :

- حقًا ؟!

هتف الصحفى فى حدة :

- نعم يا (يوشيدا) .. لقد اتصلت برئيس الشرطة نفسه ، وسلمته مظروفًا مغلقًا ، يحوى كل الوثائق التى تدينك ، وطلبت منه فتحه فى حالة وفاتى ، أو تعرضى لأى حادث عارض .

ران على المكان سكون رهيب ثقيل ، بعد أن نطق الصحفى عبارته الأخيرة ، وعقد النحيل حاجبيه فى شدة ، وهو يهمهم بكلمات غاضبة غير مفهومة ، فى حين ظلّ (يوشيدا) جامدًا صامتًا لبعض الوقت ، قبل أن يقول فى برود :

- لماذا وافقت على مقابلتى إذن يا (موكيتا) سان ؟!

لوّح الصحفى بسبابته فى وجهه ، مجيبًا فى صرامة :

- لأملى عليك شروطى يا (يوشيدا) .

زمجر النحيل فى غضب ، وصاح :

- أنت أيها الحقير .. أنت تملى شروطك على (فاكو يوشيدا) سان ؟! .. أنت ؟!

انعقد حاجبا (يوشيدا) ، وهو يشير بيده ، قائلاً فى صرامة :

- (ميتسو) .

تراجع النحيل فور سماع اسمه ، وخفض عينيه ، مغمغمًا :

- أعتذر يا (يوشيدا) سان .. أعتذر .

رمقه الرجل بنظرة صارمة أخرى ، ثم التفت إلى الصحفى ، وقال :

- وما شروطك يا (موكيتا) سان ؟

عاد الصحفى يلوّح بسبابته فى وجهه ، قائلاً :

- أن ينتهى كل هذا الفساد يا (يوشيدا) .. اكشف أمر كل هؤلاء المرتشين ، أو اقطع صلتك بهم ، وأعد الملايين العشرين ، التى استوليت عليها ، إلى خزانة الدولة ، وعندئذ ..

قاطعه (يوشيدا) فى سخرية :

ـ وعندئذ تصدر قرارك بالعفو عنى .. أليس كذلك يا (موكيتا) سان ؟! .

اتسعت عينا الصحفى فى توتر ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ هل تسخر منى يا (يوشيدا) ؟!

أجابه الأشيب فى صرامة :

ـ هذا كل ما تستحقه يا (موكيتا) .. السخرية .. هل كنت تتصورّ أنك قادر على هدم إمبراطورية (يوشيدا) ؛ لمجرّد أنك نجحت فى استغلال غباء البعض ، وحصلت على كومة من الوثائق ؟! هل اعتقدت أنك ستملى شروطك علىّ ؛ بسبب أمر تافه كهذا ؟! ..

احتقن وجه الصحفى ، وهو يقول فى حدة :

ـ إننى أحذّرك يا (يوشيدا) .. الوثائق عند رئيس الشرطة بالفعل ، وسيعلنها فى ..

قاطعه (يوشيدا) بضحكة ساخرة مباغتة ، شحب لها وجهه فى شدة ، واتسعت لها عيناه فى ارتياع ، قبل أن يقول (يوشيدا) فى غضب صارم ، وهو يشير إلى سائقه :

ـ تُرى هل تقصد هذه الوثائق ؟!

ومع قوله ، التقط السائق من داخل السيارة مظروفًا كبيرًا ، لوّح به فى وجه (موكيتا) ، وهو يبتسم فى سخرية ..

واتسعت عينا الصحفى فى ارتياع أكثر ، يمتزج برعب لا حدود له ..

إنه نفس المظروف ..

نفس مظروف الوثائق ، الذى سلّمه يدًا بيد لرئيس الشرطة (فوجى ياما) ..

وفى هلع ، هتف :

ـ مستحيل ! .. هل تعنى أن ..

قاطعه (يوشيدا) فى مزيج من السخرية والصرامة :

ـ نعم يا (موكيتا) .. القوائم التى حصلت عليها لم تكن كاملة .. كان ينقصها اسم أكبر المتعاونين معنا .. رئيس الشرطة نفسه .

تراجع (موكيتا) فى رعب ، وهو يلوّح بيده ، هاتفًا :

ـ لا .. لا .. مستحيل !

ثم دار على عقبيه ، واندفع محاولاً القفز داخل سيارته ، ولكن (يوشيدا) هتف فى غضب :

ـ (ميتسو) .

قبل حتى أن ينتهى من هتافه ، كان النحيل يثب وثبة خرافية مدهشة ، ليهبط خلف الصحفى مباشرة ، ثم هوى على ظهره بلكمة كالقنبلة ، صرخ لها الرجل فى ذعر وألم ، واندفع إلى الأمام ؛ ليرتطم بسيارته فى عنف ، ثم يرتدّ عنها ككرة من المطاط ..

ومع ارتداده ، استقبله (ميتسو) بلكمة أخرى فى فكه ، وثالثة فى أنفه ، قبل أن يتراجع ، ويثب ليركله فى أسنانه مباشرة لكمة قوية ، تفجّرت لها الدماء من فم الصحفى ، ثم سقط على ركبتيه أرضًا ، وهو يهتف :

ـ لا .. لا .. الرحمة يا (يوشيدا) سان .. الرحمة .

خلع (يوشيدا) قفاز يده اليمنى ، وهو يقول :

ـ الرحمة ؟! .. يا له من مطلب ! .. أتعلم لماذا أصررت على الحضور بنفسى ، على الرغم من ثقتى فى انعدام خطورتك بالنسبة لى ؟!

ودسّ يده فى جيب معطفه ؛ ليخرجها قابضة على مسدس كبير ، وهو يستطرد فى صرامة تمتزج بغضب هادر :

ـ لأنعم بقتلك شخصيًا يا (موكيتا) ... سان .

صرخ الصحفى فى رعب ، وهو يلوّح بذراعيه :

ـ لا يا (يوشيدا) .. لا .

ومع آخر حروف صرخته ، انطلقت رصاصات مسدس (يوشيدا) ..

ونسفت رأس الصحفى المسكين ..

وبلا رحمة ..

ومع دوى الرصاصات ، انطلقت شهقة ..

شهقة التقطتها أذن (يوشيدا) المرهفة ، على الرغم من الأمتار العشرة ، التى تفصله عن مصدرها ..

وبحركة حادة ، التفت (يوشيدا) إلى مصدر الشهقة ..

وانعقد حاجباه فى شدة وغضب ..

لقد وقعت عيناه على رجل فى منتصف الخمسينات من عمره ، يرتدى حلة رياضية وحذاءً مطاطيًا ، يخرج من خلف المصنع ، ويعدو مبتعدًا ، نحو سيارة صغيرة ، انتبه إليها بغتة ، مع اتجاه الرجل نحوها ..

وبكل غضبه وثورته ، صرخ (يوشيدا) ، مشيرًا إلى الرجل :

ـ (ميتسو) .. هناك .

التفت (ميتسو) إلى الرجل ، ثم وثب داخل سيارة الصحفى ، وأدار محركها ، وانطلق بها محاولاً اللحاق به ..



شهقة التقطتها أذن (يوشيدا) المرهفة ، على الرغم من الأمتار العشرة ، التي تفصله عن مصدرها ..

ولكن الرجل قفز إلى سيارته الزرقاء الصغيرة ، التي تختفي خلف كومة من مخلفات الصناعة ، وانطلق بها بأقصى سرعة ..

وقفزت دهشة (ميتسو) إلى ذروتها ، وهو يطارد الرجل ، الذي قاد سيارته بمهارة مذهلة ، وراح يناور بها على نحو رائع ، وكأنه يفعل هذا منذ نعومة أظفاره ..

وفي الوقت ذاته ، صاح (يوشيدا) بسائقه ، وهو يدلف إلى سيارته :

ـ هيا .. عد بنا إلى المنزل .. لم يعد وجودنا هنا آمنًا .

وعندما انطلق السائق بالسيارة الكبيرة ، مبتعدًا عن مسرح الجريمة ، كان (ميتسو) يزيد سرعة سيارته إلى أقصى حد ، وهو ينطلق خلف السيارة الصغيرة ، هاتفًا :

ـ لن يمكنك الفرار مني يا هذا .. سيارتي أقوى من سيارتك التافهة بكثير .

ولكنه لم يكد يتم عبارته ، حتى أثبت له قائد السيارة الصغيرة أن القوة وحدها لا تكفي للنصر ..

لقد انحرف بسيارته بغتة ، متجاوزًا الطريق الرئيسي ، ووثب بها في خفة إلى الجزء غير الممهد ، ثم اندفع

عبر علامتين أسمنتيتين ، ومال جانبًا ، قبل أن ينطلق فى طريق فرعى ضيق ..

وراح (ميتسو) يسبّ ويلعن ، وهو يضطر للتوقُّف ؛ بحثًا عن وسيلة لدخول ذلك الطريق الضيق ، ثم لم يجد أمامه سوى أن يندفع عبر الطريق الرئيسى ، بمحاذاة الطريق الفرعىّ ، ليعترض السيارة الصغيرة فى نهايته ..

ولكن قائد السيارة الصغيرة خدعه للمرة الثانية .

لقد سمح له بتجاوزه فى الطريق الرئيسى ، ثم ضغط فرامل سيارته بغتة ، وانحرف بها إلى اليسار فى مهارة مدهشة ، وعبر الطريق الفرعى إلى الرئيسى ، من خلال فراغ صغير ، تجاوزته سيارته بالقوة ؛ لتمرق خلف سيارة (ميتسو) مباشرة ..

وضغط (ميتسو) فرامل سيارته فى قوة ، وهو يكاد يجنّ من فرط الغضب ، وأدار عجلة قيادتها صارخًا :

ـ اللعنة ! .. اللعنة !.

ولكن السيارة الصغيرة قفزت إلى الطريق العكسى بغتة ، ثم تجاوزته إلى أحد مداخل العاصمة بسرعة مدهشة ..

وأدار (ميتسو) عجلة قيادة سيارته إلى الجهة الأخرى بسرعة ، وحاول الاندفاع خلف السيارة الصغيرة ، التى أطلق قائدها العنان بسرعتها ، وهو يعبر شوارع (طوكيو) على نحو يشفّ عن مهارته ، وعن معرفته الطريق بالضبط .

ومع مشرق الشمس ، ارتفعت حرارة المطاردة ، فى قلب العاصمة اليابانية ، بين السيارتين الكبيرة والصغيرة إلا أن تلك الأخيرة عبرت طريقًا فرعيًا ، ثم اتجهت مباشرة نحو مبنى من طابقين ، يحمل شعارًا رسميًا ، ويقف على بوابته المعدنية الكبيرة طاقم حراسة ، يشف عن أهميته ومكانته ..

ولم يكد طاقم الحراسة يلمح السيارة الزرقاء الصغيرة ، حتى فتحوا أمامها البوابة فى سرعة واحترام ، وكأنهم يعرفون هوية صاحبها ..

وهنا ضغط (ميتسو) فرامل سيارته فى قوة ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدق فى المبنى والشعار الرسمى على بوابته ، قبل أن يغمغم :

ـ اللعنة ! .. هذا يفسد كل شىء ..

قالها ، وأدار عجلة القيادة ، لينطلق مبتعدًا عن المبنى بقدر الإمكان ، وهو يكرّر عبارته الغاضبة المحنقة ..

هذا لأن المبنى ، الذى دخلته السيارة الزرقاء الصغيرة ، كان يخص إحدى السفارات ..

وهى سفارة (جمهورية مصر العربية) بالتحديد ..

★ ★ ★

انحدرت دموع ساخنة صامتة على وجنتى (قدرى) خبير التزييف والتزوير الأول ، فى المخابرات العامة المصرية ، وهو يقطع ذلك الممر الواسع الهادئ ، فى قسم العناية الفائقة والحالات الحرجة ، فى مستشفى القوات المسلّحة بحى (المعادى) ، وبدا له أن ساقيه تعجزان عن حمل جسده الضخم ، وتدفعان قدميه فى صعوبة ، فضغط يد خطيبته مضيفة الطيران (هبة) ، على نحو جعلها تلتفت إليه فى دهشة ، متسائلة :

ـ ماذا دهاك يا (قدرى) ؟!.. أتعانى من عقدة خوف من المستشفيات أم ماذا ؟! .. إنك ترتجف بشدة منذ وصولنا ؟!

ازدرد (قدرى) لعابه فى صعوبة ، محاولاً السيطرة على مشاعره ، إلا أن صوته خرج من بين شفتيه متحشرجًا منفعلاً ، وهو يقول :

ـ لا يمكنك أن تتصورى ما يعنيه (أدهم) و (منى) بالنسبة لى .. إنهما أقرب صديقين لى فى الوجود ،

وليس من السهل علىّ أن أرى كليهما فى مثل هذه الحالة .

قالت مستنكرة :

ـ أية حالة ؟! .. ألم تخبرنى بنفسك أن (منى) قد استعادت وعيها ، بعد أن ظلّت أسيرة غيبوبة عميقة لفترة طويلة ، وأن (أدهم) قد نجا من موت محقق بمعجزة ، على الرغم من إصاباته المتعدّدة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى تأثر :

ـ هذا صحيح ، ولكن الأمور لم تعد كما كانت ، فلقد استعادت (منى) وعيها ، لتجد (أدهم) فى غيبوبة ، بسبب إصاباته العنيفة ، ويرقد على مسافة عشرة أمتار منها ، وهى عاجزة حتى عن رؤيته ، وفى الوقت نفسه وجدت أمامها زميلته الجديدة (جيهان) ، بكل سحرها وجمالها وفتنتها ، وشخصيتها القوية ، التى تتناسب أكثر مع شخصية (أدهم) .. أخبرينى بالله عليك ، ماذا سيكون شعورك ، لو وجدت نفسك فى مكانها ؟!

زوت (هبة) ما بين حاجبيها الجميلين ، وهى تقول :

ـ المرأة يمكن أن تحتمل أى شىء ، فى سبيل من تحب .

ثم أردفت فى حزم :

- ألا وجود امرأة أخرى فى حياته .

لوّح (قدرى) بيده ، قائلاً :

- كلا .. يبدو أنك لم تحسنى فهم الموقف .. الوجود الوحيد لـ (جيهان) ، فى حياة (أدهم صبرى) ، هو كونها زميلة فحسب ، تشاركه عملياته ومغامراته ، ولكنه لم ولن يحب سوى (منى) .

هزّت كتفيها ، قائلة :

- ومن أدراك ؟! .. الرجل قد يقضى عمره كله فى حب امرأة ما ، ما دامت أمام عينيه ، فإذا ما ابتعدت عنه لفترة من الوقت ، لا يلبث أن ينحّيها جانبًا ، ويقع فى غرام امرأة أخرى .

هتف فى انفعال :

- لا .. ليس (أدهم) .

عادت تهزّ كتفيها ، قائلة :

- كل الرجال سواء .

تسللت الحدة إلى صوته ، وهو يقول :

- لماذا فعل ما فعل من أجل (منى) إذن ؟! .. لماذا خاض الأهوال لاستعادتها ، لو أنه لا يحبها .

مطّت شفتيها ، قائلة .

- ومن يمكنها فهم الرجال ؟!

انعقد حاجباه فى غضب ، وقال فى صرامة :

- فليكن .. يبدو أنه ما من سبيل لإقناعك .. سنناقش هذا الأمر فيما بعد ، فقد وصلنا إلى حجرة (منى) .

أسرعت تعدّل من هندامها ، وترسم على شفتيها ابتسامة عذبة ، وهو يطرق الباب فى رفق ، قبل أن يسمع صوت (منى) الهادئ الرقيق ، وهى تقول من الداخل .

- ادخل .

سرت فى جسده قشعريرة عجيبة ، وكأنه يخشى رؤيتها فى هذه الحالة ، ثم لم يلبث أن دفع الباب ، وهو يقول :

- صباح الخير يا (منى) .. كيف حالك ؟!

كانت تجلس على طرف فراشها ، وقد زادها المرض شحوبًا ونحولاً ، ولكنها ابتسمت عندما رأته ، وقالت :

- صباح الخير (يا قدرى) .. أنا فى خير حال والحمد لله .

وأطلّت من عينيها نظرة متسائلة ، وهى تنطق الجزء الأخير من عبارتها ، وتتطلّع إلى (هبة) ، التى منحتها ابتسامتها العذبة ، قائلة :

- صباح الخير يا آنسة (منى) .. إنه لمن دواعى سعادتى أن ألتقى بك .. لقد أخبرنى (قدرى) بالكثير عنك .

وأسرع (قدرى) يقدمها ، قائلاً :

- (هبة) .. خطيبتى .

تهللت أسارير (منى) ، وهى تهتف :

- حقًا ؟!

ثم مدت يدها تصافح (هبة) مستطردة بابتسامة كبيرة :

- من المؤكد أن (قدرى) غارق فى حبك ، وإلا لما نطق اسمك بهذه الطريقة .

رمقت (هبة) (قدرى) بنظرة جانبية ، قائلة :

- أنا أيضًا غارقة فى حبه .

ابتسمت (منى) ، قائلة :

- عظيم .. الحب هبة من الخالق (عزّ وجلّ) ؛ فالمحب لا يرى قط عيوب محبوبه .

انبعث من عند الباب صوت يقول :

- هل تؤمنين بهذا حقًا ؟!

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجبا (هبة) ، وهى تتطلع إلى شقراء فاتنة ، استطردت بلهجة تحمل شيئًا من العصبية :

- لماذا تتصرفين إذن وكأن العكس هو الصحيح ؟!

تطلعت (منى) إلى الشقراء فى صمت ، فى حين نهض (قدرى) ، قائلاً :

- أهلاً يا (جيهان) .. كيف حالك ؟.. أراهن أنك قادمة على التو من حجرة (أدهم) .. أليس كذلك ؟

انتبهت (هبة) جيدًا إلى نظرة الحزن العميقة ، التى أطلت من عينى (منى) ، عندما ألقى (قدرى) هذا السؤال على (جيهان) ، التى هزت رأسها نفيًا ، قائلة :

- كلاً .. إنهم يمنعون زيارته ، أو حتى التواجد أمام حجرته .. أنا هنا لزيارة (منى) ، والاطمئنان عليها فحسب .

تمتمت (منى) فى خفوت :

- أهلاً يا (جيهان) .

جلست (جيهان) على طرف فراشها ، وربتت عليها ، قائلة فى تعاطف حقيقى :

- كيف حالك الآن ؟

أومأت (منى) برأسها ، مغمغمة :

- حمدًا لله .

قالتها ، وران على الحجرة صمت ثقيل ، وكأنما يثير قدوم (جيهان) شجون كثيرة فى نفوس الجميع ، ولم

يرق هذا للأخيرة ، فرسمت على شفتيها ابتسامة مفتعلة ، وهى تقول فى مرح مصطنع :

- هل تعلمين يا (منى) ؟ .. لقد قضيت نهار أمس كله ، فى مطالعة ملفك .

غمغمت (منى) فى خفوت :

- حقًا ؟!

هتفت (جيهان) فى حماس زائف :

- نعم .. إنه ملف رائع بحق .. نفس (منى) التى عرفتها فى الأكاديمية .. حزم وإصرار وإخلاص .. النموذج المثالى لفتاة المخابرات .

تمتمت (منى) :

- أشكرك .

ربّتت (جيهان) عليها ثانية ، وهى تقول :

- هيا .. استردى عافيتك بسرعة ، حتى يمكنك العودة للعمل فى أقرب فرصة .. ليس من السهل أن تخسر المخابرات أساتذة مثلك .

لم يرق هذا القول لـ (هبة) ، فنقلت بصرها بين وجهيها فى ترقّب ، ولم تغب عنها نظرة الحزن فى عينى (منى) ، وهى تقول :

- لست أظن هذا ممكنًا .. أشكرك لمجاملتك الرقيقة .

قالت (جيهان) فى حزم :

- إنها ليست مجاملة .

ثم أمسكت يد (منى) ، وتطلّعت إلى عينيها مباشرة ، وهى تستطرد مخلصة :

- صدقينى يا (منى) .. إننى أتمنى عودتك إلى العمل حقًا .

نقل (قدرى) بصره بينهما بدوره ، ثم ضغط يد (هبة) فى رفق ، ونهض قائلاً :

- فليكن يا (منى) .. يسعدنا كثيرًا أن اطمأننا على حالتك ، ولكننا مضطرون للانصراف ، فأمامنا بعض العمل .

لم يرق هذا أيضًا لـ (هبة) ، فقالت معترضة ، وهما يبتعدان عن الحجرة فى خطوات سريعة :

- لماذا انصرفت بسرعة هكذا ؟! .. من الواضح أن لديهما الكثير لتقولاه .

أجابها فى حزم :

- هذا صحيح ؛ لذا كان من الضرورى أن نتركهما وحدهما .

سألته فى لهفة :

- هل تعتقد أن (جيهان) صادقة فى قولها : إنها ترغب فى عودة (منى) إلى العمل ؟!

أجابها فى ثقة حاسمة :

ـ بالتأكيد .. (جيهان) تدرك أن المعركة خاسرة ، وأن (أدهم) لن يحب سوى (منى) .

قالت (هبة) فى سرعة :

ـ ولكنها امرأة .. والمرأة لا تتنازل عن تحب بسهولة ؛ حتى للمرأة التى يحبها .. إنها تعتبر أنها أحق به منها ؛ لأنها ـ فى رأيها ـ أكثر من يحبه فى العالم أجمع .

انعقد حاجباه فى ضيق ، وهو يقول :

ـ كفى يا (هبة) .. لست أحب مناقشة هذا الأمر .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى شاهد ممرضة تندفع خارج حجرة العناية المركزة فى انفعال ، فشحب وجهه ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! .. (أدهم) .

ثم أسرع إلى الممرضة ، يسألها فى هلع :

ـ ماذا حدث ؟! .. ماذا أصاب (أدهم) ؟!

التفتت إليه الممرضة ، هاتفة فى انفعال زائد :

ـ حدث تطور مهم .. مهم للغاية .

وهوى قلب (قدرى) بين قدميه ..

ويمنتهى العنف .

★ ★ ★

٢ ـ الشاهد الوحيد ..

لم تكن عقارب الساعة قد بلغت السابعة والنصف صباحًا بعد ، بتوقيت (طوكيو) ، عندما وصل المحامى (أوهارا) إلى مكتب (فاكو يوشيدا) ، ولم يكد يدلف إليه ، حتى قال بصوت يحمل توتر وانزعاج الدنيا كلها :

ـ ماذا حدث يا (يوشيدا) سان ؟! .. لقد انتزعنى رجالك من فراشى مبكرًا ، وألقوا بى فى سيارة ، انطلقت إلى هنا مباشرة ، دون أن يمنحونى حتى الفرصة لحلاقة ذقنى .. أى أمر عاجل هذا ، الذى استدعيتنى من أجله على هذا النحو ؟!

انعقد حاجبا (يوشيدا) ، وهو يجلس خلف مكتبه الضخم ، وقال فى شىء من العصبية ، وأصابعه تنقر على سطح المكتب :

ـ لقد قتلت الصحفى (موكيتا) .

قال (أوهارا) فى توتر ، وهو يلقى جسده على المقعد المقابل للمكتب :

- آه .. كنت أتوقَّع هذا .

ثم استطرد فى شىء من القلق :

- ولكنها ليست أوّل مرة تقتل فيها شخصًا بنفسك يا (يوشيدا) سان ، فما الذى استجدّ هذه المرة ؟! .. استدعاؤك لى على هذا النحو يؤكد أن الأمور لم تسر على ما يرام .. أليس كذلك ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (يوشيدا) ، قبل أن يجيب فى اقتضاب صارم :

- كان هناك شاهد .

اتسعت عينا (أوهارا) فى ارتياع ، وهو يقول :

- شاهد ؟! .. لاتقل لى : إنه أفلت منكم أيضًا يا (يوشيدا) سان .

ضرب (يوشيدا) سطح مكتبه بقبضته فى عنف ، وقال فى صرامة :

- (ميتسو) الغبى عجز عن اللحاق به ، حتى بلغ سفارته .

مال (أوهارا) بوجهه إلى الأمام ، وهو يهتف :

- سفارته ؟! .. أهو أحد موظفى سفارة دولة أجنبية ؟!

صمت (يوشيدا) لحظة ، وكأنه يعجز عن النطق من شدة الغضب والحنق ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية شديدة .

- بل هو سفير .

انتفض جسد (أوهارا) فى عنف ، وهبّ واقفًا ، وهو يهتف فى انزعاج أقرب إلى الذعر :

- سفير ؟! .

والتقى حاجباه الكثّان فى شدة ، وهو يدور فى المكتب فى توتر قائلاً :

- ولكن هذا أمر معقّد بالفعل يا (يوشيدا) سان .. معقّد للغاية .

زمجر (يوشيدا) فى غضب ، قبل أن يقول محتدًا :

- لهذا استدعيتك يا (أوهارا) .. أريدك أن تجد حلاً لهذه المشكلة .. لن يتم إلقاء القبض علىّ أبدًا .. هل تفهم .

تطلّع إليه (أوهارا) لحظة فى صمت ، قبل أن يتنهّد ، قائلاً :

- سأبذل قصارى جهدى يا (يوشيدا) سان ، ولكن الأمر ليس هينًا هذه المرة .. ينبغى أن تدرك هذا .

قال (يوشيدا) فى صرامة :

- سأمنحك كل الصلاحيات اللازمة يا (أوهارا) .. أنفق كل ما تحتاج إليه واستعن بكل من يمكن أن يفيدك ، ولكن أخرجنى من هذا الموقف ، دون حتى أن تمس الصحافة اسمى .. هل تفهم ؟!

أومأ المحامى برأسه إيجابًا ، وهو يفكر فى عمق ، ثم سأله فى اهتمام :

- سفير أية دولة هو ؟!

أجابه (يوشيدا) :

- (مصر) .

ازداد انعقاد حاجبى المحامى فى شدة ، وهو يغمغم :

- آه .. هذا يزيد الأمر تعقيدًا .

وغرق فى التفكير بضع لحظات أخرى ، قبل أن يضيف :

- ولكننى سأبذل قصارى جهدى يا (يوشيدا) سان .. سأبذل قصارى جهدى ، وسأخرجك من هذه الورطة .

وشد قامته ، مستطردًا فى حزم :

- هذا وعد .

نطقها وعيناه تحملان تعبيرًا عجيبًا ، جعله أشبه بوحش مفترس ..

أو بالشيطان .

شخصيًا ..

* * *

« (منى) .. هل تتصورين أننى لست صادقة فى حديثى معك ؟! .. » .

نطقت (جيهان) العبارة فى مرارة ، جعلت (منى) تهتف بسرعة :

- مطلقًا يا (جيهان) .

ولكن (جيهان) تابعت فى ألم ، يحوى شيئًا من العصبية :

- هل خطر ببالك أن جسدى لا يحوى قلبًا ينبض ، أو أننى أجهل مقدار الحب ، الذى يحمله لك (أدهم) فى قلبه ؟! .. كلا يا (منى) .. لقد اعترفت لك أننى أحب (أدهم) ، وأننى لم ولن أحب سواه ، ولكن كرامتى وكبريائى يمنعاننى من السعى خلف رجل ، لن يمنحنى من قلبه إلا موقع الصداقة على أفضل تقدير ، ما لم يكتف بالزمالة فحسب .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تضيف :

- وهذا يكفينى .

سبقتها (منى) إلى سكب دموعها ، وهى تقول :

- أرجوك يا (جيهان) .. لا تتخلى عنى .. ما دمت تحبين (أدهم) .. فساعدينى على أن أنتزع نفسى من قلبه ، ليخلو مكانى لك .

هتفت (جيهان) :

ـ مستحيل !

أمسكت (منى) يدها فى قوة ، وهى تقول :

ـ أرجوك يا (جيهان) .. (أدهم) يستحق فاتنة مثلك ، وليس نصف امرأة مثلى .

صاحت (جيهان) ، ودموعها تغرق وجهها :

ـ من وجهة نظرك فحسب ، أما (أدهم) نفسه فسيظل يتعبّد فى محرابك حتى ولو أصبحت مجرد شبح امرأة .. إنه لا يحب جمالك أو فتنتك ، ولا يرغب فى الارتباط بك لقوتك وسلامة صحتك .. لقد تجاوز كل هذا وأحب أجمل ما فيك .

وارتجفت شفتاها ، وهى تستطرد :

ـ روحك .

بكت (منى) فى حرارة ، وهى تغمغم فى خفوت :

ـ ولكنه يستحق ما هو أفضل .

مسحت (جيهان) دموعها ، وهى تقول :

ـ دعى الاختيار له ..

ثم عضّت شفتيها فى ألم ، قبل أن تضيف بحزن جارف :

ـ عندما يعود إلى وعيه .

هتفت (منى) من أعمق أعماقها :

ـ يارب .

لم يكد الدعاء يتجاوز شفتيها ، حتى اندفع (قدرى) إلى الحجرة بجسده الضخم ، وهو يرتج فى قوة ، هاتفًا :

ـ (أدهم) .. (أدهم) ..

انتفض قلب (منى) بين ضلوعها فى هلع ، فى حين قفزت (جيهان) من مكانها ، صائحة :

ـ ماذا أصابه ؟

تفجّرت الدموع من عينيه غزيرة ، وهو يجيب :

ـ لقد استيقظ .. استعاد وعيه منذ قليل .

صرخت (جيهان) فى انفعال ، وهى تخفى وجهها بكفيها ، وهبّت (منى) من مجلسها ، هاتفة :

ـ (أدهم) .

وانطلقت دموعها كالسيل ، عندما عجزت عضلات ساقيها الضعيفتين عن حملها ، فاختل توازنها ، وسقطت أرضًا ..

وعندما أسرعت (جيهان) لتعاونها على النهوض ، تشبّثت بها فى قوة ، وهتفت من وسط دموعها الغزيرة :

ـ أريد أن أراه يا (جيهان) .. أرجوك .. احملونى إليه .. أريد أن أراه .



ولكن (أدهم) تجاهلها تمامًا ، وهو يحتوى جسد (منى) الضئيل بين ذراعيه ، ويحملها إلى فراشها ..

لم تكن كلماتها قد تجاوزت شفتيها عن آخرها ، عندما سمعت صوته يقول فى حنان جارف :

ـ وهل تصوَّرت أننى سأنتظر قدومك يا عزيزتى .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدِّق فى وجهه الشاحب ، وهو يتقدَّم إلى الحجرة ، ويتجه نحوها ، والحب كل الحب يطلّ من عينيه الدافئتين ، والممرضة تعدو خلفه ، هاتفة :

ـ هذا جنون .. جنون حقيقى .. ينبغى أن تنتظر حتى يفحصك الطبيب المختص .. ليس من حقك أن تنتزع الأسلاك وأنابيب التغذية من جسدك ، وتغادر حجرة العناية المركزة ، دون أن يسمح لك الطبيب بهذا .

ولكن (أدهم) تجاهلها تمامًا ، وهو يحتوى جسد (منى) الضئيل بين ذراعيه ، ويحملها إلى فراشها ، هامسًا بكل حب وحنان الدنيا :

ـ كم اشتقت إليك .

شعرت (جيهان) بغصة فى حلقها ، وأحرقت دموع القهر عينيها ، فاندفعت تغادر الحجرة ، قائلة بصوت متحشرج مختنق :

ـ سأنتظركما فى الخارج .

ولم تكد تغادر الحجرة ، حتى ألقت جسدها على أبعد مقعد عنها ، وتركت العنان لدموعها الغزيرة ، وهى تتمتم فى مرارة ولوعة :

ـ كنت أعلم أنه لن يرى سواها .. إنه لم يشعر حتى بوجودى .. كنت أعلم .

أما (منى) ، فقد تطلّعت إلى وجهه فى لهفة وحب ، وهو يضعها فى فراشها ، ويجلس إلى جوارها ، وأصابعه الحانية تتحسّس وجهها الرقيق ..

وانعقد لسانها فى حلقها ، فلم تستطع حتى نطق اسمه ..

فقط ملأت عيناها بوسامته ، وقلبها يخفق باسمه فى قوة ..

وهو أيضًا لم ينطق بحرف آخر ..

كانا يتطلّعان إلى بعضهما البعض فى هيام ، وكأن عيونهما تتبادل حديث حب جارف بلا حدود ..

ولم يستطع (قدرى) التحدث أيضًا ..

ولا مغادرة الحجرة ..

لقد ترك دموع انفعاله تنسكب على وجهه فى صمت ، وهو يتطلّع إليهما ، وقلبه أيضًا يخفق فى عنف ..

ثم اقتحم الطبيب المختص الحجرة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! .. ماذا فعلت يا سيد (أدهم) ؟! .. ألا تعلم أنه من الخطر أن تغادر حجرة العناية المركزة على هذا النحو ؟!

التفت إليه (أدهم) مبتسمًا ، على الرغم من شحوب وجهه الشديد ، وقال :

ـ ألا تعلم أنت أنه من المستحيل ألا أهرع لرؤيتها ، فور استعادتى الوعى ؟!

ابتسم الطبيب ، وهو ينقل بصره بينهما ، ثم ربّت على كتفه مستطردًا :

ـ بالتأكيد .. هى أيضًا كانت تتابع أخبارك بلهفة طوال الوقت .

تطلّع (أدهم) إلى (منى) ثانية ، وهو يغمغم مبتسمًا :

ـ لن يدهشنى هذا .

ربّت الطبيب على كتفه ثانية ، وقال :

ـ والآن هل تسمح لى بفحصك ، حتى نطمئن إلى أن كل شىء على ما يرام ؟!

ابتسم (أدهم) قائلاً :

ـ ما دامت (منى) بخير ، فكل شىء على ما يرام بالفعل .

ابتسم الطبيب فى تأثر ، وقال :

- أنت أيضًا ينبغى أن تبذل بعض الجهد ، حتى تطمئن إلى أنك بخير حال يا رجل .. ألا ترغب فى العودة إلى مزاولة عملك الطبيعى ؟!

صمت (أدهم) بضع لحظات ، وهو يملأ عينيه بوجه (منى) وابتسامتها الحانية ، ثم عاد يبتسم ، وهو يقول :

- بالتأكيد أيها الطبيب ، ولكن نظرًا لطبيعة عملى ، وحالتى الصحية الحالية ، أعتقد أنه سيمضى بعض الوقت ، قبل أن أعود إلى مزاولته .

خطأ يا (أدهم) ..

الظروف والملابسات الحالية قد تدفعك للعودة إلى عملك أسرع مما تتوقّع ..

أسرع بكثير ..

* * *

تحرك السفير المصرى فى (طوكيو) ، داخل حجرة مكتبه الواسعة ، فى توتر شديد ، وراح يلوّح بذراعه ، وهو يقول لقائد أمن السفارة :

- ما الذى تقوله يارجل ؟! .. لا يمكننى كتمان شهادتى بالطبع .. إنها ليست مخالفة مرور بسيطة .. لقد شاهدت جريمة قتل وحشية .. هل تفهم ؟! .. جريمة قتل .

أومأ قائد أمن السفارة برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

- لا أحد يجرؤ على مطالبتك بكتمان شهادتك يا سيّدى السفير ، فهذا إثم لا يحتمل أحد ارتكابه(*) ، ولكننى .. أرجوك ألا تتعجل فى اتخاذ أية خطوة كانت .. دعنا نبرق إلى (القاهرة) أولاً ، ونعرض عليهم الأمر كله ، ثم نطلب مشورتهم .

ثم اعتدل ، وشد قامته ، وأضاف فى حزم :

- وحتى ذلك الحين ، أرجو ألا تغادر مبنى السفارة قط يا سيدى السفير .

انعقد حاجبا السفير ، وهو يقول فى غضب :

- ماذا ؟! .. هل جننت يا رجل ؟! .. أنا سفير بلادى هنا ، ووظيفتى ومسئولياتى تضطرنى للخروج أكثر من مرة .

قال قائد الأمن فى حزم :

- يمكننا أن نعلن رسميًا أنك مريض وملازم الفراش يا سيّدى ، وفى هذه الحالة .

قاطعه السفير فى صرامة :

(*) القرآن الكريم ، الآية (٢٨٣) من سورة البقرة : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ، صدق الله العظيم .

- مستحيل ! .. لن أختفى هنا كالجبناء .. هل نسيت أننى كنت قائدًا لقوات الصاعقة المصرية فى السابق ؟! .. لا يا رجل .. لا يمكننى أن أفعل هذا .

أجابه قائد الأمن محاولاً إقناعه :

- سيدى السفير .. أنت تعلم أن (فاكو يوشيدا) من أقوى رجال المجتمع والصناعة فى (اليابان) كلها ، وتربطه صلات وثيقة بعدد من المسئولين اليابانيين والأمريكيين ، مع إشاعات حول علاقاته بعدد من رجال العصابات وتجار الهيروين والأفيون ، ولو أنك الشاهد الوحيد على ارتكابه جريمة قتل ، فسيبذل قصارى جهده لمنعك من الإدلاء بشهادتك هذه .

قال السفير فى صرامة وعناد :

- دعه يحاول .

فقد قائد الأمن صبره ، وهو يقول :

- لا يمكننى أن أدعه ، فمهمتى هى أن أوفر لك ولرجال السفارة الحماية والأمن اللازمين ، والقانون يمنحنى الحق فى اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لضمان هذا .

قال السفير فى حدة :

- هل ستمنعنى من الخروج بالقوة ؟

شدّ قائد الأمن قامته ، وهو يجيب فى صرامة :

- لو اضطرتنى لهذا .

احتقن وجه السفير ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أنه دلف إلى الحجرة مدير مكتبه فى هذه اللحظة ، وقال فى اهتمام :

- معذرة يا سيدى السفير .. هناك محام يابانى يطلب مقابلتك شخصيًا فى إلحاح .

انعقد حاجبا قائد الأمن فى توتر ، فى حين غمغم السفير فى حيرة :

- محام يابانى ؟!

أومأ مدير مكتبه برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم يا سيدى السفير .. السيّد (أوهارا) ، محامى رجل الصناعة الكبير (فاكو يوشيدا) .

لم يكد الرجل ينطق الاسم ، حتى خيّل إليه أنه قد ألقى قنبلة فى الحجرة ، فقد انتفض جسد السفير فى عنف ، وهتف قائد الأمن فى حدة :

- (يوشيدا) ؟!

تراجع الرجل فى انزعاج ، قائلاً :

- هل أصرفه يا سيدى السفير ؟!

قبل أن ينطق السفير بالجواب ، اندفع قائد الأمن يقول :

- بل دعه يدخل .

انعقد حاجبا السفير فى غضب ، وانتظر حتى انصرف مدير مكتبه ، ثم قال فى عصبية :

- هل تحتم عليك الظروف اتخاذ قراراتى بدلاً منى أيضًا ؟

أجابه قائد الأمن بسرعة :

- معذرة يا سيدى السفير ، ولكن من الضرورى أن نعرف سبب قدوم هذا المحامى لمقابلتك .. لقد أرسله (يوشيدا) لسبب ما .. فليكشف أوراقه أولاً ، ثم اطرده لو عنّ لك هذا .

كانت إجابته منطقية للغاية ، حتى إن السفير لم يناقشه ، وإنما أشار إليه ، قائلاً فى حزم :

- اختبئ فى الحجرة المجاورة ، حتى يتحدث بحرية ، وستسمع حديثنا كله عبر جهاز الاتصال الداخلى .. سأتركه مفتوحًا .

أسرع قائد الأمن إلى الحجرة المجاورة ، ولم يكد يختفى داخلها ، حتى دق باب حجرة السفير ، فأسرع هذا الأخير يضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول باليابانية :

- ادخل يا (أوهارا) سان .

دلف المحامى إلى الحجرة ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة لزجة ، وقال فى احترام مبالغ :

- صباح الخير يا سعادة السفير .. أرجو من كل قلبى ألا أكون قد سببت لك شيئًا من الإزعاج بزيارتى المباغتة ، و ...

قاطعه السفير فى حزم :

- لماذا أرسلك السيد (يوشيدا) ؟!

ارتسمت على شفتى المحامى ابتسامة خبيثة ، وهو يقول .

- أنا لم أقل : إن (يوشيدا) سان قد أرسلنى إلى هنا يا سعادة السفير .. كل ما قلته هو أننى محاميه الخاص .

قال السفير فى ضيق :

- هل تعنى أنها مبادرة فردية ؟

أجابه فى خبث :

- فليكن .. يمكنك اعتبارها كذلك .

انعقد حاجبا السفير ، وتراجع فى مقعده ، قائلاً فى صرامة :

- وما الذى تستهدفه مبادرتك الفردية يا سيد (أوهارا) ؟!

أجابه المحامى فى سرعة :

- أحد عملائى أبلغنى أنك رأيت شيئاً يخصه ، وأن هذا لم يرق له ، لذا فهو مستعد لدفع أى ثمن تطلبه ، فى مقابل نسيانك لما رأيته ، والاحتفاظ به فى أعماقك .

ازداد انعقاد حاجبى السفير ، فمال المحامى نحوه ، وتابع فى لهجة خاصة :

- ولنبدأ بمليون دولار مثلاً .

قال السفير فى غضب :

- أهذا هو الثمن ، الذى حدده (يوشيدا) ؟!

أجابه المحامى فى خبث :

- ومن ذكر اسم (يوشيدا) سان ؟! .. قلت لك : إنها مبادرة فردية يا سعادة السفير ، ولكن من الواضح أن المبلغ لم يرضك .. دعنا نرفعه إلى ..

هبّ السفير من مقعده ، وهو يقول فى غضب :

- اخرج .

رفع المحامى عينيه إليه فى هدوء ، قائلاً :

- إنك لم تسمع الرقم بعد .

صاح السفير فى غضب هادر :

- اخرج ، قبل أن أطلب من رجال الأمن طردك من السفارة .

أومأ المحامى برأسه فى هدوء ، وقال :

- فليكن يا سعادة السفير .. سأخرج ، ولكن فكّر فى عرضنا ، و ..

قاطعه السفير فى صرامة غاضبة :

- العرض مرفوض ، وأبلغ (يوشيدا) أنه ما من قوة فى الأرض يمكنها منعى من الإدلاء بشهادتى وإدانته ، وإن أسعد لحظة فى حياتى هى عندما أراه خلف القضبان .. هل تفهم ؟

تطلّع إليه المحامى بنظرة باردة ، قبل أن يقول فى بطء :

- فليكن يا سعادة السفير .. إنك لم تترك لنا بديلاً .

سأله السفير فى حدة :

- ماذا تعنى بقولك هذا يا رجل ؟ .. ماذا تعنى ؟!

ارتسمت على شفتى المحامى ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

- لا شىء يا سعادة السفير .. لا شىء .

ولكن الطريقة التى نطقها بها كانت توحى بأن الأيام القادمة ستكون قاسية وعنيفة ، ورهيبة .. وبشدة .

* * *

٢ - حمايـة ..

« إذن فقد رفض الفكرة ... » .

نطق (يوشيدا) العبارة فى صرامة غاضبة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يجلس خلف مكتبه الضخم ، متطلعًا إلى (أوهارا) ، الذى أشار بيده ، وهو يحل رباط عنقه قليلا ، وقال فى اهتمام شديد :

- رفضها تمامًا يا (يوشيدا) سان .. بل رفض حتى مبدأ المناقشة من أساسه ، وطردنى من مكتبه شر طردة .

قال (يوشيدا) فى حدة :

- إنها إهانة .

لوّح (أوهارا) بيده ، على نحو يعلن أن هذا لا يقلقه كثيرًا ، قبل أن يقول :

- المشكلة أن منصبه يحيطه بحصانة خاصة ، وموقعه يجعله محاطًا برجال ووسائل الأمن طوال الوقت ، مما يجعل الوصول إليه عسيرًا .

التقى حاجبا (يوشيدا) أكثر ، وهو يقول :

- هل تفكّر فيما أفكّر فيه يا (أوهارا) ؟

هزّ المحامى كتفيه ، قائلاً :

- إنه لم يترك لنا حلاً بديلاً .

مطّ (يوشيدًا) شفتيه ، ونهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يدور فى حجرته الواسعة فى صمت ، ثم لم يلبث أن التفت إلى (أوهارا) ، قائلاً :

- قل لى يا رجل : لماذا لم يبلغ السفير الشرطة بما رآه ، حتى هذه اللحظة .

ابتسم المحامى ، قائلاً :

- إن جثة (موكيتا) لم تبرد بعد يا (يوشيدا) سان ، والرجل يحتل منصبًا دبلوماسيًا شديد الحساسية ، ولابد له من استشارة رؤسائه فى (القاهرة) ، قبل أن يخوض فى الأمر رسميًا .

سأله (يوشيدا) فى اهتمام :

- وهل تعتقد أن رؤساءه سيوافقون على إدلائه بشهادته فى هذا الأمر ؟!

أجابه المحامى على الفور :

- بالتأكيد .. المصريون قوم شرفاء ، ومعتقداتهم الدينية تمنعهم من كتمان الشهادة .

قال (يوشيدا) فى عصبية :

- وما أدراك أنت بمعتقداتهم الدينية ؟!

هزّ (أوهارا) كتفيه ، وهو يجيب فى خبث :

- أنسيت أننى محام دولى ، ولا بد لى من معرفة الكثير عن عادات وتقاليد ومعتقدات الشعوب ؟!

أومأ (يوشيدا) برأسه متفهمًا ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، مغمغمًا :

- إذن فلا مفرّ من المواجهة .

ثم استطرد فى غضب :

- لست أدرى ما الذى أتى بذلك السفير فى مكان كهذا ، قبل مشرق الشمس ؟!

أجابه (أوهارا) بسرعة ، وكأنه ينتظر السؤال :

- إنه يذهب إلى هناك يوميًا ، ليتدرب على بعض الرياضيات العنيفة ، التى يزاولها منذ شبابه ، حتى لا يفقد لياقته .

قال (يوشيدا) فى حدة :

- من سوء حظنا .

أشار إليه المحامى ، قائلاً :

- رويدك يا (يوشيدا) سان .. الأمور لم تفلت من أيدينا بعد .

هتف (يوشيدا) فى عصبية :

- كيف ؟! .. أنت قلتها بنفسك .. الرجل يحتل منصبًا شديد الحساسية ، ولن يكون الظفر به سهلاً ، فهو محاط برجال ونظم الأمن ، وسيضاعفون حراسته فى هذه المرحلة بالتأكيد ، وربما يمنعونه من مغادرة السفارة ، حتى يدلى بشهادته ، التى ستدمّر كيانى ومستقبلى تمامًا .

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته فى عنف ، مستطردًا فى غضب :

- ولن أسمح بهذا .. لن أسمح بهذا أبدًا يا (أوهارا) .. هل تفهم ؟!

أشار إليه المحامى ثانية ، فى محاولة لتهدئته ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا (يوشيدا) سان .. بالتأكيد .. أنا أيضًا لن أسمح بأن يمسّك هذا بسوء ، وصدقنى .. على الرغم من كل ما تقوله ، فالأمور لم تفلت من أيدينا بعد بالفعل .

وانهمك لثوان فى إشعال سيجار ضخم ، نفث دخانه فى عمق ، قبل أن يتابع :

- عندما غادرت مكتبك فى الصباح ، كان أول ما فعلته هو أن أرسلت ثلاثة من رجالى ، للتخلص من جثة

(موكيتا) ، وإخفاء آثار ما حدث فى المنطقة الصناعية ، وبغياب الجثة يتحوّل الأمر من التحقيق فى جريمة قتل ، إلى محاولة إثبات وقوع جريمة قتل ، وهذا يمنحنا الكثير من الوقت ، قبل أن تتعقّد الأمور .

سأله (يوشيدا) :

ـ وماذا عن اختفاء (موكيتا) ؟!

ابتسم المحامى فى دهاء ، قائلاً :

ـ حتى هذا يمكن تدبيره يا (يوشيدا) سان .. تذاكر طيران باسمه .. بضائع تشترى ببطاقة ائتمانه فى أماكن متتابعة ، أو حتى فى دولة أخرى .. حجز فى فندق ما .. شهادة شهود .. أمور كثيرة يمكن أن تربك رجال الشرطة ، وتجعلهم يشكون فى مقتل (موكيتا) لفترة من الوقت ، يمكننا لو أحسنّا اللعبة أن نمدّها لثلاثة أشهر كاملة ، وهذا أكثر مما نحتاج إليه لتدبير الأمر كله .

ثم التقط نفسًا من سيجاره ، ونفثه فى الهواء ، مضيفًا فى حزم :

ـ اطمئن يا (يوشيدا) سان .. لقد وعدتك بإنهاء الموقف .. و (أوهارا) يفى بوعوده دائمًا .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يكمل :

ـ مهما كان الثمن .

ومرة أخرى ، برقت عيناه فى شدة وشراسة ..

★ ★ ★

أدى طاقم أمن مبنى المخابرات العامة المصرية التحية العسكرية فى احترام ، لوزير الخارجية المصرى ، وهو يعبر البوابة بسيارته الكبيرة ، التى عبرت الساحة ، ثم انحرفت يسارًا ، وتوقّفت أمام المبنى ، فهبط منها الوزير ، واستقبله مدير المخابرات شخصيًا ، وهو يصافحه فى حرارة ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا سيادة الوزير .. تفضّل .. إننى أنتظرك منذ تلقّيت اتصالك الهاتفى .

اتجها معًا إلى المصعد ، والوزير يقول :

ـ الواقع أنه أمر جديد ، بالنسبة لحياتنا الدبلوماسية ، وهو يحتاج إلى استشارة أمنية على أعلى مستوى ، وهذا ما دفعنى للقدوم إليكم .

قال مدير المخابرات فى اهتمام :

ـ نحن رهن إشارتك ، ما دام الأمر يتعلّق بأمن وسلامة الوطن .

انتظر وزير الخارجية ، حتى ضمّهما مكتب مدير المخابرات ، قبل أن يطرح المشكلة كاملة ..

وفى اهتمام شديد ، ودون أن يقاطعه بحرف واحد ، استمع إليه مدير المخابرات حتى النهاية ، قبل أن يقول :

- ولقد أبلغتم السفير بموافقتكم على إدلائه بشهادته .. أليس كذلك ؟

هزّ الوزير رأسه نفيًا ، وتنهّد ، قائلاً :

- ليس بعد ، فالأمر شديد الحساسية بالفعل ، ولابد من دراسة موقف السفير ، وقدرتنا على حمايته أولاً ، قبل أن نسمح له بهذا .

قال المدير فى اهتمام :

- معلوماتى تقول : إن السفير يمكن الإدلاء بشهادته فى مبنى السفارة .. أليس كذلك ؟

أومأ الوزير برأسه إيجابًا ، وقال :

- بلى ، ولكن الرجل الذى سيدلى بشهادته ضده هو (فاكو يوشيدا) ، إمبراطور صناعة الإليكترونيات شخصيًا ، وحتى لو تركه (يوشيدا) يدلى بشهادته ، فى تحقيقات الشرطة ، فلن يسمح له بتأكيدها عند المحاكمة ، ومن المؤكد أنه سيبذل قصارى جهده للتخلص منه بين المرحلتين ، ما لم ينجح فى القضاء عليه قبل هذا .

سأله مدير المخابرات :

- وماذا عن طاقم الأمن فى السفارة ؟

أجابه الوزير :

- إنهم يقومون بواجبهم خير قيام ، فقد ضاعفوا الحراسة ، وكثّفوا وسائل الأمن ، وقاموا بدوريات إضافية ، ويراقبون كل شبر من مبنى السفارة وأسوارها ، وحتى الطرق المحيطة بها ، بآلات المراقبة التليفزيونية ، كما أصدروا بيانًا رسميًا بأن السفير مريض وملازم للفراش ، واعتذروا عن كل المقابلات ، مع تأجيل زياراته حتى يشفى من مرضه .. ولكن الأمر لن يستمر على هذا النحو إلى الأبد ، إن عاجلاً أو آجلاً ، سيضطر السفير للخروج من السفارة ، وللقيام بواجبات منصبه ، والمعلومات التى لدينا عن (فاكو يوشيدا) ، تقول : إنه قادر على القضاء عليه فور خروجه .

انعقد حاجبا مدير المخابرات فى اهتمام ، وهو يقول :

- ولا يمكن إعادته إلى (مصر) أيضًا .. أليس كذلك ؟!

أجابه الوزير :

- هذا أحد الحلول ، التى طُرحتْ للبحث ، والتى انتهينا فيها إلى أن بقاءه فى السفارة أكثر أمنًا فى الوقت الحالى .

تراجع مدير المخابرات فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وصمت بضع لحظات ، وهو يتطلع إلى الوزير ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

- سيّدى الوزير ، هل تطلب منّا حماية السفير ؟!
ابتسم الوزير ، قائلاً :
- لماذا تظننى أتيت إذن ؟
أومأ مدير المخابرات برأسه متفهمًا ، ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى نافذته ، ووقف يتطلّع عبرها بضع لحظات ، وكأنما يعيد دراسة الأمر كله ، ثم لم يلبث أن التفت إلى الوزير ، ومدّ يده إليه ، قائلاً فى حزم :
- اتفقنا يا سيادة الوزير .. اعتبر أننا قد تولينا الأمر ، منذ هذه اللحظة .
تنهّد الوزير فى ارتياح ، وهو يصافحه ، قائلاً :
- صدقنى أيها المدير .. الآن فقط أشعر بالارتياح .. أشكرك .. أشكرك كثيرًا .
رافقه مدير المخابرات حتى بوابة المبنى ، وتطلّع فى صمت إلى سيارته ، وهى تنطلق مبتعدة ، ثم التفت إلى مساعده ، وقال فى حزم :
- أريد ملف (فالكو يوشيدا) على مكتبى فورًا .
كان قوله هذا يعنى أن اللعبة قد انتقلت إلى ملعب جديد ..
إلى المخابرات العامة ..
المصرية ..

* * *

« رويدك يا (ن ـ ١) .. العالم لن ينتهى غدًا » .
نطق المدرّب هذه العبارة ، ووجهه يحمل ابتسامة كبيرة ، وهو يتجه نحو (أدهم) ، الذى توقف عن تدريباته الرياضية ، وجفّف عرقه الغزير ، قائلاً :
- إننى أحاول استعادة لياقتى بسرعة .
ضحك المدرّب ، قائلاً :
- بل تحاول استعادتها فى يوم واحد .
هزّ (أدهم) كتفيه ، وهو ينهض قائلاً :
- من يدرى ما الذى يأتى به الغد ؟! .. ثم إننى أبغض البقاء بدون عمل .
قالها ، واتجه إلى ساحة الرماية ، والتقط مسدسه ، والمدرّب يتبعه ، قائلاً :
- أنت خير من يعلم أن طبيعة عملك تحتاج إلى لياقة تامة ، والتدريبات العنيفة المتواصلة لن تمنحك هذه اللياقة ، ولن تسمح لك باستعادتها بسرعة ، ما لم تحصل على فترات من الراحة بين التدريبات ، خاصة وأنك غادرت المستشفى أمس فحسب .
تمتم (أدهم) :
- أعلم هذا .

وضغط على أحد الأزرار ، فانطلقت أهداف هيكلية مختلفة ، من عدة أماكن فى الساحة ، وتطايرت فى كل مكان ..

وانطلقت رصاصات (أدهم) ..

وارتفع حاجبا المدرِّب لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن انخفضا ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك لم تفقد ذرة واحدة من مهارتك ، فى هذا المضمار .. لقد أصبت أهدافك كلها بمنتهى الدقة .

أعاد (أدهم) المسدس إلى موضعه ، مغمغمًا :

ـ لم يكن هذا عسيرًا .

ضحك المدرِّب ، قائلاً :

ـ بالنسبة لك فحسب .

التفت إليه (أدهم) ، واتخذ وضعًا قتاليًا ، وهو يقول :

ـ ما رأيك بمباراة (تايكوندو) سريعة ؟

هزّ المدرِّب رأسه نفيًا ، وقال :

ليس الآن ، فلم أحضر لمراقبتك ، وأنت تمارس تدريبات استعادة اللياقة بهذا العنف ، وإنما أتيت لأخبرك أن المدير يريدك شخصيًا .

ارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ يريدنى أنا ؟!

ألقى السؤال ، دون أن ينتظر جوابًا من المدرِّب ، وإنما أسرع يرتدى ثيابه ، ثم ينطلق إلى مكتب مدير المخابرات ، الذى استقبله قائلاً :

حمدًا لله على سلامتك يا (ن ـ ١) .. اجلس .. هناك أمر أرغب فى مناقشته معك .

سأله (أدهم) فى اهتمام ، وهو يتخذ مجلسه .

ـ أى أمر هذا يا سيِّدى ؟

شرح له المدير الأمر كله ، قبل أن يضيف :

ـ وأنا أعلم أن هذا السفير بالذات يهمك شخصيًا ، فهو اللواء سابقًا (مدحت عبد المنعم) ، قائدك فى فرق الصاعقة ، إبان حرب أكتوبر(*) .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ رباه ! .. اللواء (مدحت) ؟!

أجابه مدير المخابرات :

ـ نعم يا (ن ـ ١) ، ولهذا استدعيتك .

قال (أدهم) فى حزم وحماس :

ـ سيِّدى .. أنت تعلم أننى مستعد للتضحية بحياتى ، فى سبيل سيادة اللواء (مدحت عبد المنعم) .. لقد كان

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم (٣١) .

قائدى فى السابق ، وأنا أدين له بالفضل ، بعد اللّه (سبحانه وتعالى) ، ووالدى (رحمه اللّه) ، فيما وصلت إليه .

تنهّد المدير فى عمق ، وتطلّع إليه لحظات فى صمت ، قبل أن يميل إلى الأمام ، قائلاً :

ـ يبدو أنك قد أسأت تفسير الموقف يا (ن ـ ١) .. أنا أعلم أن حالتك الصحية لا تسمح لك بمواجهة خطر عنيف كهذا ، فى الوقت الحالى ، لذا فكل ما أطلبه منك ، كرئيس لفرع العمليات الخاصة ، أن ترشح رجلين للسفر إلى (طوكيو) ، والقيام بمهمة حماية السفير .

وكانت صدمة لـ (أدهم) ..

صدمة حقيقية ..

وقاسية ..

★ ★ ★

ارتجف صوت (فوجى ياما) ، رئيس شرطة (طوكيو) ، فى اضطراب واضح ، وهو يتحدّث إلى (يوشيدا) عبر الهاتف ، قائلاً :

ـ السفير تقدّم ببلاغ حول الواقعة بالفعل يا (يوشيدا) سان ، ولا يمكننى إخفاء الأمر أو إغفاله ، فالمشكلة أنه لم يتقدّم به إلى الشرطة مباشرة ، وإنما قدّمه إلى

وزارة الخارجية ، التى حولّته إلينا مع توصية بضرورة إجراء تحقيق سرى وعاجل ، والبحث عن الصحفى (موكيتا) ، قبل إعلان الأمر رسميًا .

انعقد حاجبا (يوشيدا) فى توتر غاضب ، وهو يقول :

ـ وماذا ستفعل يا (فوجى) ؟

أجابه رئيس الشرطة بسرعة :

ـ كل ما أمكننى فعله هو أننى أسندت المهمة إلى المفتش (ياما موتو) .. أسوأ المفتشين فى إدارة جرائم القتل والاختفاء ، وكل أملى أن يؤدى هذا إلى بطء الإجراءات ، وارتباكها ، وضياع بعض الوقت .

قال (يوشيدا) فى صرامة :

ـ ثم ؟!

أجابه (فوجى) ، وهو يجفف عرقه فى توتر بالغ :

ـ ثم تعقد الأمور أكثر وأكثر .

ثم استطرد فى عصبية :

ـ فيم سكوتكم باللّه عليك يا (يوشيدا) سان .. أسرعوا بالتخلص من هذا الرجل ، قبل أن يستفحل الأمر ، ونعجز عن السيطرة عليه .

التقى حاجبا (يوشيدا) أكثر وأكثر ، حتى كادا يمتزجان ببعضهما البعض ، وهو يقول فى صرامة شديدة :


ضرب (يوشيدا) سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً :
ـ أريد قتل ذلك السفير ..

ـ سنفعل يا (فوجى) .. سنفعل .

وأنهى المحادثة مع رئيس الشرطة ، وضم قبضتيه أمامه ، على سطح مكتبه الضخم ، وهو يفكر في عمق ، ثم ضغط زر جهاز الاتصال الخاص إلى جواره ، وقال :

ـ (ميتسو) .. تعال إلى مكتبى فوراً .

لم تمض ثوان ، حتى دلف (ميتسو) إلى حجرته بقامته النحيلة ، وانحنى فى احترام بالغ ، قائلاً :

ـ أوامرك يا (يوشيدا) سان .

أجابه (يوشيدا) فى صرامة :

ـ أعتقد أن دورك قد حان يا (ميتسو) .

تألقت عينا الشاب ، وهو يقول فى حماس :

ـ أنا رهن إشارتك يا (يوشيدا) سان ، وأتضرع إلى آلهة أبائى وأجدادى أن توفقنى لخدمتك بروحى ودمى :

ضرب (يوشيدا) سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً :

ـ أريد قتل ذلك السفير .

وقبل أن يهتف (ميتسو) بالإيجاب والطاعة ، ارتفع صوت (أوهارا) من عند الباب ، وهو يقول :

ـ إنه لا يصلح للقيام بهذا يا (يوشيدا) سان ، مع خالص الاحترام .

التفت إليه (ميتسو) فى غضب ، وهو يقول :

- أنا مستعد للتضحية بحياتى من أجل سيدى .

لوّح (أوهارا) بكفه فى لامبالاة ، وهو يتجاوز (ميتسو) ، ويتجه إلى (يوشيدا) ، قائلاً :

- ادخر حماسك لوقت تفيد فيه السخافات العاطفية يا فتى .. إننا نحتاج إلى إجراء جاد .

احتقن وجه (ميتسو) فى شدة ، وقال (يوشيدا) فى غضب :

- انتبه لما تتفوّه به يا (أوهارا) .

التقط (أوهارا) سيجاراً فاخراً ، من العلبة الذهبية أمام (يوشيدا) ، وأشعله بالقدّاحة الماسية ، قائلاً :

- معذرة يا (يوشيدا) سان ، ولكن المجاملات لا تفيد فى وقتنا هذا ، وأية خطوة غير مدروسة قد تفسد الأمر كله .

هتف (يوشيدا) فى غضب :

- (أوهارا) ؟!

نفث المحامى دخان سيجاره ، وهو يقول :

- أرجوك يا (يوشيدا) سان .. اترك لى إدارة الأمور فى هذه الأزمة .. الأمر معقّد للغاية بحق .

التقى حاجبا (يوشيدا) فى شدة ، واحتقن وجهه قليلاً ، ثم لم يلبث أن أشار إلى (ميتسو) ، قائلاً فى خشونة عصبية :

- اتركنا وحدنا .

انعقد حاجبا (ميتسو) ، وكأنما لم يرق له هذا ، ولكنه انحنى فى احترام ، قائلاً :

- أوامرك يا (يوشيدا) سان .

ورمق المحامى بنظرة مقت ، قبل أن يغادر الحجرة ، ويغلق بابها خلفه فى إحكام ..

وهنا التفت (يوشيدا) إلى (أوهارا) ، وقال فى حدة :

- إياك أن تفعل هذا مرة أخرى .. فى المرة القادمة اطرق الباب قبل دخولك ، وإلا ألقيت بك من النافذة .

ارتفع حاجبا المحامى ، وهو يقول بدهشة مصطنعة :

- من الطابق الثلاثين ؟! .. لا يا (يوشيدا) سان .. لست أظننى أحتمل هذا .

واصل (يوشيدا) فى غضب :

- أما سكرتيرى اللعين ، الذى سمح لك بالدخول ، فسأحطم عنقه ، وأبقر بطنه ، و ..

قاطعه المحامى ، وهو يكتم ضحكته :

- رويدك يا (يوشيدا) سان .. السكرتير المسكين لم يرتكب أية أخطاء .. أنت طلبت منه السماح لى بالدخول وقتما أشاء ، منذ بدأت تلك المشكلة .

مطّ (يوشيدا) شفتيه ، دون أن يُعلّق ، ثم قال فى حدة :

- لماذا منعت (ميتسو) من قتل السفير ؟
نفث (أوهارا) دخان السيجار فى عمق ، قبل أن يجيب :
- لأنه لا يصلح للقيام بهذه المهمة بحق .
قال (يوشيدا) فى عصبية :
- (ميتسو) مقاتل فوق العادة .. لا تجعل نحوله يخدعك .. إنه متين البنيان ، ويجيد كل رياضات القتال الحر ، ومبارزة السيوف ، وال ...
قاطعه (أوهار) :
- هذا لا يكفى .
احتقن وجه (يوشيدا) ، لهذه المقاطعة الجافة ، وقال فى حدة :
- هل تعتقد هذا ؟!
نفث (أوهارا) دخان سيجاره مرة أخرى ، قبل أن يقول :
- المشكلة ليست مشكلة مهارات قتالية فحسب يا (يوشيدا) سان .. المهم أن تصل إلى الرجل أولاً ، متجاوزًا كل رجال ووسائل الأمن ، فى السفارة المصرية ، و (ميتسو) مجردُ حارس خاص ، يجيد إبعاد الصحفيين ، والتصدى للفضوليين ، والدفاع عن سيده بإخلاص

الكلاب الوفية ، ولكنه لا يصلح للقيام بدور الثعالب ، أو التسلل تحت جنح الظلام كالذئاب .
تراجع (يوشيدا) فى مقعده ، وهو يقول فى عصبية :
- هل سنلغى فكرة القتل إذن ؟
هزّ (أوهارا) رأسه فى حزم ، قائلاً :
- مطلقًا .
ثم نفث دخان سيجاره ثانية ، قبل أن يستطرد :
- ولكننا سنعهد بالمهمة للمختصين .
التقى حاجبا (يوشيدا) فى توتر ، وهو يميل نحوه ، ويحدق فى عينيه مباشرة ، قبل أن يسأله فى لهجة يغلب عليها الانفعال :
- (الياكوزا)(*) ؟!
ابتسم المحامى ، ونفخ طرف سيجاره المشتعل ، وهو يقول :
- ليس لدى أدنى شك فى قوة (الياكوزا) وانتشارها ، ولكن المهمة التى نحن بصددها تتجاوز طبيعة عملهم ، الذى ينحصر فى تجارة المخدرات ، ونوادى القمار والأعمال الإجرامية المشبوهة ، والألعاب القذرة التقليدية .

(*) الياكوزا : المافيا اليابانية .

وملأ صدره بالهواء ، قبل أن يضيف :

- إننا نحتاج لفريق له طبيعة خاصة ، قادرة على تجاوز كل العقبات ، والقيام بعملية اغتيال سياسي متقنة ، دون أدنى احتمال للفشل .

ثم رمق (يوشيدا) بنظرة جانبية ، مستطردًا في خبث :

- مقابل مبلغ مناسب بالطبع .

أجابه (يوشيدا) في صرامة :

- قلت لك : إن الثمن لا يعنيني كثيرًا .

ومال نحوه ، يسأله في اهتمام :

- ولكن أي فريق هذا ؟!

ارتسمت على شفتي المحامي ابتسامة كبيرة ، تفيض خبثًا ودهاءً وغموضًا ، وهو ينفث دخان السيجار في بطء ، ويراقب حلقات الدخان المتصاعدة في صمت ، قبلَ أن يقول في بطء :

- لست أظنك قد سمعت به من قبل يا (يوشيدا) سان .

تراجع (يوشيدا) ، عاقدًا حاجبيه في حزم ، وهو يقول :

- من تظنني يا (أوهارا) ؟! .. من الواضح أنك تتجاوز كل الحدود حقًا هذه المرة .. أنسيت أنني (فاكو يوشيدا) ، إمبراطور صناعة الإليكترونيات الدقيقة ، في (طوكيو) والعالم أجمع ؟! .. ألا تعلم أن صلاتي واتصالاتي السياسية والعملية ، تضعني على قمة المجتمع هنا ، وإن اسمي وحده يكفي لـ ..

قاطعه (أوهارا) بإشارة من يده ، وهو يقول في احترام بالغ :

- معذرة .. ألف معذرة يا (يوشيدا) سان .. ليس هذا ما قصدته أبدًا .. كل ما أردت هو أن رجلاً محترمًا مثلك لا يمكن أن يهبط باتصالاته إلى هذا الحد .. إنه مهمة لأمثالنا .

سأله (يوشيدا) في صرامة :

- ربما ، ولكنني أحب أن أعرف من سأتعامل معهم على الأقل .

تنهَّد (أوهارا) ، قائلاً :

- بالتأكيد يا (يوشيدا) سان .. بالتأكيد .

ثم نهض من خلف مقعده ، وتحرك في الحجْرة قليلاً ، وعينا (يوشيدا) تتابعانه في ترقب متوتر ، حتى التفت إليه ، وقال بلهجة من حسم أمره :

- هل سمعت عن (النينجا) يا (يوشيدا) سان ؟!

أجابه (يوشيدا) فى صرامة :

- ومن لم يسمع عن (النينجا) يا هذا ؟! .. أليسوا أولئك المقاتلين ، الذين أضفت عليهم السينما قدرات خرافية ؟!

أومأ (أوهارا) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالضبط يا (يوشيدا) سان ، ولكن واقعهم يختلف عما ظهروا به على شاشة السينما ، فلقد نشأت (النينجا) منذ أكثر من ثمانمائة عام ، فى قوم عرفوا بالاسم نفسه ، أيام كان (الساموراى) يملكون ويحكمون كل شىء فى (اليابان) ، حتى البشر ، وكان من حقهم قتلهم لو أرادوا ، دون أن يحاكموا ، أو توجَّه إليهم أية اتهامات ، لذا فقد انعزلت مجموعة من البشر فى الجبال الباردة ، وراحوا يتدربون على كل فنون القتال العسكرية ، اعتمادًا على مرجع عسكرى ، وضعه جنرال يدعى (صن تزو) ، وتحولوا إلى جيش خاص يخشاه (الساموراى) ، ويتلفتون حولهم طوال الوقت خوفًا منه ، ثم تحولوا إلى السرقة والتدمير ، والاغتيالات بأنواعها ، وربما يعود هذا إلى أن اسم (النينجا) يعنى (السارقون) .. المهم أنهم نموا وتقدَّموا وراحوا

ينشئون أطفالهم تنشئة قتالية ، منذ نعومة أظفارهم ، ومع مرور الوقت ، وتطوُّر (اليابان) ، ذاب (النينجا) فى صفوف الجيش ، أو فى الخدمة السرية ، وحاول البعض فى العصر الحديث إنشاء (نينجا) جديدة ، ولكن دون معرفة أسرارها الحقيقية ، التى حرصوا على إخفائها ، وعدم البوح بها للآخرين قط (*) .

ثم التقط نفسًا عميقًا من سيجاره ، ونفثه فى بطء ، قبل أن يضيف :

- ولكن أحدهم التقط الفكرة ، منذ ما يقرب من عشرين عامًا ، وقرَّر إحياء أسطورة (النينجا) .

سأله (يوشيدا) فى حذر :

- وهل نجح فى هذا ؟!

اتسعت ابتسامة (أوهارا) ، وهو يجيب فى خبث :

- انتظر ، وسترى بنفسك يا (يوشيدا) سان .

قالها ، وعيناه تبرقان وتتألقان على نحو مخيف ، يوحى بأن اللعبة تدخل مرحلة جديدة .. وعنيفة .

★ ★ ★

(*) حقيقة تاريخية .

٤ ـ القتلة ..

« لست أشعر بالارتياح لهذا .. » .

زفر (أدهم) فى حرارة ، وهو ينطق العبارة ، فى حجرة (منى) بالمستشفى ، قبل أن يستطرد فى توتر ملحوظ :

ـ لقد راجعت ملف (فاكو يوشيدا) بنفسى ، وكل كلمة فيه تكفى لتفجير أطنان من القلق فى أعماقى .. إنه إمبراطور صناعة الإليكترونيات الدقيقة فى العالم أجمع ، وعلى الرغم من هذا فهو رجل غير شريف ، بكل معنى الكلمة ، وله اتصالات عديدة مشبوهة ، وأخرى بعدد من كبار المسئولين ورجال الدولة ، وهو لا يتورّع عن القيام بأقذر الأعمال ، أو التحالف مع الشيطان نفسه ، فى سبيل أن يربح صفقة ما ، فما بالك عندما يتعلّق الأمر بأمنه الشخصى .

سألته (منى) فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أنه من الممكن أن يسعى لقتل السفير حقًا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ بل أنا واثق من أنه سيفعل .. لن يهدأ له بال ، حتى يشطب اسمه من الوجود ، فأمثال (يوشيدا) لا يجازفون بترك أى مصدر خطر .

سأله (قدرى) فى لهفة :

ـ (أدهم) .. هل تفكر فى السفر إلى (اليابان) ؟

قال (أدهم) فى حنق :

ـ المدير منعنى رسميًا من هذا ؟ وأكّد لى أن الأمر لن يحتاج إلى وجودى ، ولقد رشحت اثنين من أفضل رجالنا لحماية السفير .. النقيب (أشرف مراد) ، والنقيب (ياسر حمدى) .. ولقد سافرا بالفعل إلى (سنغافورا) ، وسينطلقان منها إلى (طوكيو) مباشرة .. وأنا واثق من أنهما سيبذلان قصارى جهدهما للقيام بواجبهما ، إلا أننى ما زلت أشعر بالقلق .

سألته (منى) :

ـ وما الذى يقلقك بالضبط ؟! .. إنهم يحيطون السفير بسياج من الأمن كما يبدو .

زفر مرة أخرى ، وهزّ رأسه فى توتر ، قبل أن يجيب :

ـ لست أدرى .

ثم أشار إلى صدره ، مضيفًا :

ـ إنه شيء ما هنا .. نوع من غريزة الشعور بالخطر ، ينمو مع الوقت ، وتصقله الخبرات والتجارب ، حتى يتحوّل إلى ما يشبه اليقين ، على الرغم من غياب الأدلة والقرائن والبراهين .

وشرد ببصره ، وهو يكرّر إشارته إلى صدره ، مغمغمًا :

ـ إنه شيء ما هنا .

ران على الحجرة صمت رهيب ، وتبادل (قدرى) و (منى) نظرة صامتة تفيض بالقلق ، قبل أن يقول الأوّل :

ـ (أدهم) .. هل احتفظوا بجواز سفرك فى الإدارة ؟

مطّ (أدهم) شفتيه ، وأومأ برأسه إيجابًا فى مرارة ، وهو يقول :

ـ نعم يا (قدرى) .. المدير أخبرنى أن هذا إجراء وقائى ، حتى يحمينى من عنادى ، الذى قد يدفعنى إلى السفر إلى (طوكيو) ، ودس أنفى فى العملية ، على الرغم من أننى لم أستعد لياقتى بعد .

ارتفع حاجبا (منى) فى تأثّر ، فى حين سأله (قدرى) فى حزم :

ـ متى تريد السفر إلى (طوكيو) يا (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) فى سرعة :

ـ فى أقرب فرصة .

نهض (قدرى) ، قائلاً فى حزم :

ـ امنحنى يومًا واحدًا ، وسيكون لديك جواز سفر دبلوماسي أمريكى ، يحوى تأشيرة دخول صالحة لعام كامل .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ التأشيرات يتمّ إدراجها فى الكمبيوتر هذه الأيام .

ابتسم (قدرى) بدوره ، وهزّ كتفيه ، وهو يقول فى خبث :

ـ نحن أيضًا نتطوّر يا صديقى .. اطمئن .. ستحصل على تأشيرة دخول (اليابان) ، مسجّلة فى كمبيوتر السفارة هنا ، وفى مكتب الجوازات فى (طوكيو) نفسها ، و ..

قاطعه صوت أنثوى ، يقول فى حزم :

ـ اجعلهما تأشيرتين .

التفت الجميع إلى الباب ، حيث وقفت (جيهان) ، وهى تستطرد :

ـ بعد إذن (منى) بالطبع .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، فى حين شحب وجه (منى) ، وانخفض صوتها ، وهى تقول :

ـ وما المانع ؟!.. أنت زميلته رسميًا .. أليس كذلك ؟!

قالت (جيهان) ، وهى تدلف إلى الحجرة :

ـ ولكنها مهمة غير رسمية .

أجابتها (منى) فى خفوت أكثر :

ـ وما الفارق ؟!.. (أدهم) أخبرنى أنكما تجيدان العمل معًا ، وأن ..

قاطعها (أدهم) فى صرامة :

ـ سأذهب وحدى .

احتقن وجه (جيهان) ، وهى تقول :

ـ (أدهم) .. إننى ..

قاطعها فى غضب :

ـ وفى المرة القادمة ، عندما ترغبين فى مرافقتى ، فى عملية رسمية أوغير رسمية ، اطلبى إذنى أنا ، وليس إذن (منى) .. هل تفهمين ؟!

قالت مرتبكة :

ـ لقد تصورت أن ..

صاح فى وجهها مكررًا :

ـ هل تفهمين ؟

احتقن وجهها أكثر ، وهى تومئ برأسها ، متمتمة :

ـ نعم يا (أدهم) .. أفهم .

شدَّ قامته فى اعتداد ، وهو يقول فى حزم :

ـ عظيم .

ثم التفت إلى (قدرى) ، وسأله :

ـ أأنت واثق من قدرتك على إنهاء جواز السفر غدًا ؟!

ارتفع حاجبا (قدرى) ، وهو يقول فى دهشة :

ـ (أدهم) .. هل فقدت الثقة فى مهاراتى ؟!

أجابه (أدهم) بسرعة :

ـ مطلقًا ، ولكنك تعلم كم أتلهّف على السفر .. إنه قائدى السابق ، ولن أسامح نفسى أبدًا ، لو أصابه أى سوء .

أومأ (قدرى) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ اطمئن .

التفت (أدهم) إلى (منى) ، وقال :

ـ اعذرينى يا عزيزتى ، ولكننى سأعود لممارسة تدريبات استعادة اللياقة .. لقد أصبح الوقت من ذهب بالفعل .

وعندما غادر المكان فى خطوات قوية واثقة واسعة ، كانت عيون (منى) و (جيهان) تتابعه فى انبهار ، وقلب كل منهما يخفق هاتفًا :

- كم أحب هذا الرجل .
ولكن هذا الهتاف لم ينتقل إلى شفاههما ..
ولم يجرؤ حتى على هذا ..
قط ..

★ ★ ★

صافح رجلا المخابرات (أشرف) و (ياسر) السفير المصرى في احترام ، وقدّما نفسيهما إليه ، مع أوراق هويتهما ، وتبادلا معه بعض عبارات المجاملة التقليدية ، قبل أن يقول الأوّل :
- مهمتنا هى العمل على حمايتك شخصياً يا سيدى السفير .. سنراجع بالطبع إجراءات الأمن فى السفارة ، وربما نعمل على تغيير بعضها ، أو تطوير البعض الآخر ، ولكننا فى النهاية لن نعوق عمل الزميل قائد الأمن هنا ، ولن نتحرك إلا بموافقته .
قال قائد الأمن بسرعة :
- لا تدعا هذا يقلقكما .. وجودكما لا يزعجنى إطلاقاً ، ولا يثير فى نفسى أية تحفظات ، فأنا أعلم دقة وحرج الموقف ، وضرورة الاستعانة بجهة أمنية أكبر لدعمه .
ابتسم (ياسر) ، قائلاً :
- عظيم .. هل تسمح لنا إذن بمراجعة كل شيء ؟

أجابه قائد الأمن :
- بالتأكيد .. تفضلا .
أشار (ياسر) إلى (أشرف) ، قائلاً :
- النقيب (أشرف) سيصحبك لمراجعة إجراءات وسائل الأمن العامة ، أما أنا فأسراجع الإجراءات المتبعة فى حجرة مكتب السفير ومكان إقامته .
انصرف الرجلان على الفور ، فى حين سأل السفير (ياسر) فى توتر :
- هل تعتقد أن الأمر يستحق كل هذا ؟!
ابتسم (ياسر) ، وهو يجيب فى احترام :
- ما داموا أرسلونا إلى هنا ، فهو يستحق .
وتحرك فى حجرة المكتب الواسعة فى اهتمام ، وفحص كل ركن فيها ، وأطلّ عبر نوافذها ، ثم قال فى حزم :
- سنضع بعض القضبان الفولاذية على النوافذ ، ونضاعف الحراسة فى الحديقة ، وسنضيف آلة تصوير للمراقبة فى هذا الركن .
أجابه السفير فى صرامة :
- مستحيل !
تنهّد (ياسر) ، قائلاً :

- سيدى السفير .. إننا ..

قاطعه السفير فى صرامة أكثر :

- قلت لك مستحيل !.. إننى ألتقى بسفراء ومندوبى الدول هنا ، وتدور بيننا أحيانًا بعض المناقشات ، التى تنطوى على بيانات سرية للغاية ، ولا يمكننى السماح بوجود آلة تصوير هنا ، مهما كانت الأسباب .

استمع إليه (ياسر) فى اهتمام ، ثم قال فى احترام :

- أنت على حق يا سيدى السفير .. سنراعى هذا فى عملنا .

ثم أدار عينيه مرة أخرى فى المكان ، قبل أن يتابع :

- والآن ، هل يمكننا فحص محل إقامتك ؟

أشار السفير بيده ، قائلاً :

- إننا نقيم ، زوجتى وأنا ، فى الطابق العلوى ، ومن حسن الحظ أنها فى زيارة لـ (مصر) ، فى الوقت الحالى ، وإلا لتحطمت أعصابها ، مع ما يحدث هنا .

أبدى (ياسر) تفهمه وتعاطفه مع الموقف ، وقال :

- نتعشم ألا يدوم الأمر طويلاً يا سيدى السفير .

قالها ، واستدار ليلقى نظرة أخيرة على الحجرة ، قبل أن يغادراها معًا إلى الطابق العلوى ، حيث مقر إقامة السفير ، الذى قال :

- ينبغى أن تعلم أننى لن أسمح بوجود أية آلات تصوير أو مراقبة هنا ، فالمرء لا يشعر بالارتياح فى مقر إقامته ، عندما يشعر أن هناك من يتابعه طوال الوقت .

ابتسم (ياسر) ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا سيدى السفير .. سيقتصر وضع آلات المراقبة على مدخل المكان ونوافذه من الخارج فحسب ، وربما ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدق فى شىء ما عبر النافذة ، قبل أن ينتزع مسدسه من غمده ويدفع السفير جانبًا ، وهو يهتف :

- احترس يا سيدى .

اختلّ توازن السفير ، وسقط أرضًا ، هو يهتف :

- ماذا حدث ؟

وقبل حتى أن تكتمل كلمته ، اخترقت رصاصة صامتة زجاج النافذة ، وحطمته فى دوى مكتوم ، فى نفس الوقت الذى قفز فيه (ياسر) جانبًا ، واندفع نحو السلم وهو يصيح بالسفير :

- لا تنهض يا سيدى .. احتم بأى شىء ، ولكن لا تنهض بالله عليك .

انعقد حاجبا السفير فى توتر شديد ، وهو يقول فى حدة :

ـ من تظنني يا رجل ؟!

لم يتوقّف (ياسر) ليجيب عن تساؤل السفير ، وإنما وثب عبر السلم ، واندفع نحو مدخل مبنى السفارة ، وهناك انضمّ إليه (أشرف) ومسدسه فى يده ، وهو يهتف :

ـ محاولة اغتيال .. أليس كذلك ؟!

صاح به (ياسر) :

ـ ابق لحماية السفير .. ابتعدوا عن النافذة .

أطاعه (أشرف) دون مناقشة ، وأسرع يتسلّق السلم بقفزات واسعة ، نحو مقر إقامة السفير ، فى حين تجاوز (ياسر) حديقة السفارة ، وبوّابتها المعدنية ، وانطلق يعدو نحو المبنى المقابل عبر الشارع ، الذى انطلقت منه الرصاصة ، وقبل أن يصل إليه ، رأى سيارة تندفع عبر مرآبه بسرعة كبيرة ، وتنحرف بصرير عنيف إلى الشارع الرئيسى ، فانطلق نحوها ، هاتفًا :

ـ إنه القاتل .. أراهن أنه القاتل .

كان يعدو خلف السيارة بأقصى سرعته ، عبر الشارع المزدحم ، المكتظ بالسيارات ، والذى أعاق انطلاق سيارة القاتل ، الذى غمغم فى عصبية :

ـ اللعنة ! .. هذا الرجل يعدو وكأن ساقيه تحويان محركًا نفاثًا .

ثم أوقف السيارة وسط الطريق ، وقفز منها حاملاً بندقيته ذات المنظار المقرّب ، وهو يعدو مبتعدًا بأقصى سرعة ..

واضطرب المارة للمشهد ، وراحوا يجرون فى كل اتجاه ، دون أن يدرك بعضهم ماذا يحدث بالضبط ، والقاتل يلوّح ببندقيته ، صائحًا فى عصبية زائدة :

ـ ابتعدوا أيها الأوغاد .. ابتعدوا وإلا نسفت رءوسكم اللعينة !

ووثب فوق مقدّمة إحدى السيارات ، وتجاوزها بقفزة قوية إلى الشارع ، و ...

وفجأة ، انقضّ عليه (ياسر) .

كانت انقضاضة قوية عنيفة ، حتى إنها دفعت الرجل إلى الأمام لمترين كاملين ، قبل أن يسقط على وجهه ، و (ياسر) يكبّل حركة يده اليسرى فى قوة ، قائلاً :

ـ هنا تنتهى المطاردة يا رجل .

أدار القاتل بندقيته فى حركة سريعة خلف ظهره ، وهوى بها على رأس (ياسر) ، قائلاً :

ـ ليس بعد .

وعلى الرغم من عنف الضربة ، تشبث (ياسر) بماسورة البندقية فى قوة ، وانتزعها من يد القاتل ، وألقى بها بعيدًا ، وهو يقول :

- هل تظن هذا ؟!

دار القاتل حول نفسه فى مرونة مدهشة ، وخلّص يده من قبضة (ياسر) ، ثم وثب يركل مسدسه ، هاتفًا فى حدة :

- نعم .. أظن هذا .

هبّ (ياسر) واقفًا على قدميه ، وانقضّ عليه بقفزة مدهشة ، قائلاً :

- ألق هذا الظن خلف ظهرك إذن .

قالها ، وقدمه تركل القاتل فى معدته ، ثم يدور حول نفسه دورة غاية فى المرونة والرشاقة ، ويركله ركلة أخرى فى أنفه ..

واهتزّ رأس القاتل فى عنف ، ولكنه لم يسقط ، وإنما اتخذ وضعًا قتاليًا ، وهو يهتف :

- إذن فأنت تسعى للقتال .. فليكن أيها الأجنبى .. دعنا نختبر مهارتك القتالية ، فى مواجهة مقاتل يابانى .

ثم أطلق صيحة قتالية ، ووثب نحو (ياسر) ، ليركله ركلة عنيفة ، ولكن رجل المخابرات المصرى مال جانبًا

فى مهارة ، وتفادى الركلة بخفة مدهشة ، وأمسك قدم المقاتل ، وأدارها بحركة عنيفة ، فاختل توازن الرجل ، وسقط أرضًا ، وهو يطلق سبابًا ساخطًا ، جعل (ياسر) يقول فى سخرية :

- ما رأيك أيها اليابانى ؟! .. هل خيّبت نتائج الاختبار توقعاتك ؟!

هبّ القاتل واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى مقت :

- بل جعلتنى أدرك مستواك الحقيقى أيها الأجنبى .

وعاد يتخذ وضعًا قتاليًا جديدًا ، مستطردًا فى حدة :

- وأنا ندّ لك .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفعت أصوات سيارات شرطة تقترب ، فانعقد حاجبا القاتل ، وتراجع فى حركة عنيفة ، هاتفًا :

- ولكن فى وقت آخر .

قالها ، ودار على عقبيه ، وانطلق يعدو مبتعدًا بأقصى سرعته ، تاركًا بندقيته ذات المنظار خلفه ، فانحنى (ياسر) يلتقط مسدسه ، وانطلق خلفه ..

ولكن فجأة ، اعترضت سيارة من سيارات الشرطة طريقه ، وقفز منها شرطيان ، صوبا إليه سلاحهما فى تحفز ..



وأمسك قدم المقاتل ، وأدارها بحركة عنيفة ، فاختل توازن الرجل ، وسقط أرضًا ..

وقبل أن يشرح (ياسر) موقفه ، أو يبرز جوازه الدبلوماسى ، جذب أحد الشرطيين إبرة مسدسه ، وهو يصرخ :

ـ توقَّف وإلا ..

وقبل أن ينتهى تحذيره ، ضغط زناد مسدسه ..

وأطلق النار ..

وأصاب هدفه ..

مباشرة ..

* * *

« كنت أتمنى أن ينسف رأسه ... » .

نطق (أوهارا) العبارة ، وهو يمط شفتيه ، ويفرد قدميه أمامه ، فى حجرة مكتب (يوشيدا) الواسعة ، ثم التقط سيجارًا ، وأشعله بالقدَّاحة الماسية ، قبل أن يستطرد :

ـ لقد طبَّق الشرطى القواعد حرفيًا ، وأطلق النار على المسدس ، ليطيح به من يد الرجل ، ويلقى القبض عليه حيًا .

عقد (يوشيدا) حاجبيه ، قائلاً فى حدة :

ـ وما الفائدة .. ! لقد أطلقوا سراحه ، عندما تبيَّن لهم أنه يحمل جواز سفر دبلوماسى ، وأنه كان يحاول حماية السفير فحسب .

نفث (أوهارا) دخان السيجار ، وهو يقول :

- هذا أمرٌ كنا نتوقَّعه يا (يوشيدا) سان ..

قال (يوشيدا) فى غضب :

- لماذا ترفض الاعتراف بالهزيمة دائمًا يا (أوهارا) ؟!

ارتفع حاجبا المحامى فى دهشة ، وهو يقول :

- الهزيمة ؟! .. أية هزيمة يا (يوشيدا) سان ؟!

أجابه (يوشيدا) فى عصبية :

- لقد استأجرت قاتلاً محترفًا ، للقضاء على السفير ، ولكنه فشل فى هذا ، وطارده رجل أمن نشط ، لم تنجح فى القضاء عليه ، أو حتى اعتقاله ، فماذا تسمى هذا ، لو لم يكن هزيمة ؟!

ارتسمت على شفتى المحامى ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

- أسميه براعة يا (يوشيدا) سان .

انعقد حاجبا (يوشيدا) أكثر ، وهو يغمغم فى عصبية :

- براعة ؟!

هتف المحامى ، وهو يلوِّح بالسيجار فى حماس :

- بالتأكيد .

ثم نهض من مقعده ، وتحرك داخل الحجرة ، مكملاً :

- من الواضح أنك لم تستوعب أسلوب تفكيرى بعد يا (يوشيدا) سان ، وهذا يملؤنى بالفخر فى الواقع ، فعندما تعجز عقلية جبارة مثلك عن فهمى ، فهذا يعنى أننى محام بارع بحق .

قال (يوشيدا) فى خشونة ، تشف عن أن الأمر لم يرق له :

- إننى أكره المقدمات الطويلة .

ابتسم المحامى الداهية ، وهو يقول :

- بالطبع يا (يوشيدا) سان .. بالطبع .

ونفث دخان سيجارته ثانية ، قبل أن يتابع :

- الواقع أن ذلك القاتل ، الذى استأجرته بثمن بخس ، هو مجرَّد قاتل محترف تقليدى ، لم أكن أتوقَّع قط أن ينجح فى القضاء على السفير .

سأله (يوشيدا) فى عصبية :

- لماذا استأجرته إذن ؟!

أشار (أوهارا) بيده ، قائلاً فى سرعة :

- لدراسة ردود الأفعال .

وحملت شفتاه ابتسامة زهو واثقة ، قبل أن يستطرد :

- إنه أسلوب تقليدى ، فى الحروب الحديثة .. أن تدفع بعض القوات لمواجهة خصمك ، حتى تدرس طريقة

تعامله معها ، وقتاله فى مواجهتها ، وبهذا يمكنك وضع خطة محكمة للقضاء عليه فيما بعد .. وهذا ما فعلته بالضبط .. استأجرت قاتلاً تقليديًا ، استخدم بدوره وسيلة تقليدية ، فشلت بالطبع فى قتل السفير ، ولكنها كشفت لنا أسلوب وطريقة تحرك رجال أمن السفارة ، فى مواجهة موقف كهذا .

ثم أومأ برأسه ، وأشار بسبابته ، وهو يقول :

ـ والواقع أن ردود أفعالهم كانت مدهشة بحق .. لقد تحركوا بسرعة تفوق توقعاتنا ، فانطلق أحدهم لاقتناص القاتل ، فى حين تولى الثانى حماية السفير ، وأطلق الثالث رجاله للإحاطة بالسفارة ، مع تنفيذ خطة الطوارئ القصوى خلال اثنتى عشرة ثانية فحسب ، وهذا معدل مذهل ، بالنسبة حتى لسرعة رجال الكوماندوز الأمريكيين .

سأله (يوشيدا) مستنكرًا :

ـ وهل يسعدك هذا ؟

هزّ المحامى كتفيه ، مجيبًا :

ـ إنه يلقى الضوء على الموقف كله على الأقل ، ويجعلنا ندرك أننا نواجه خصومًا أقوياء أشداء ، يعلمون جيدًا ما يفعلونه ، ويجيدون عملهم على أكمل وجه .

قال (يوشيدا) :

ـ ولكن هذا يجعل الأمور أكثر تعقيدًا .

أشار المحامى بسبابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .. الأمر صار عسيرًا بالفعل .

ثم تحرك مرة أخرى ، ونفث دخان سيجارته ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ ولكنه ليس مستحيلاً .

احتقن وجه (يوشيدا) فى غضب ، وهو يقول :

ـ (أوهارا) .. حذار أن تضيع الوقت ، وتتسبب فى إلقائى خلف القضبان .. لو حدث هذا سآمر رجالى بتمزيقك إربًا ، وشيك حيًا على نار هادئة ، حتى أثق فى أنك ستذوق أبشع عذاب ممكن ، قبل أن تلقى مصرعك ، وبعدها سنلقى جثتك للكلاب .

أطلق (أوهارا) ضحكة عالية ، سعل بعدها فى قوة ، وقال :

ـ يا للآلهة !! .. من الواضح أنك تحمل لى الكثير من المشاعر المرهفة فى أعماقك يا (يوشيدا) سان .. مرة تفكر فى إلقائى من الطابق الثلاثين ، والأخرى تقرر أن تشوينى حيًا !!

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وهو يضيف :

- ولكن اطمئن يا (يوشيدا) سان .. لقد انتهيت من دراسة أرض المعركة ، وحانت اللحظة الحاسمة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، مستطردًا :

- لحظة الهجوم .

وعلى الرغم من قوته وجبروته ، سرت فى جسد (يوشيدا) قشعريرة باردة ، عندما نطق (أوهارا) عبارته ..

وفى أعماقه ، انطلق صوت يخبره أن هذا الرجل ليس مجرد محارب داهية فحسب ..

إنه شيطان ..

شيطان حقيقى .

* * *



٥ - الأرض المرتفعة ..

انعقد حاجبا السفير فى غضب ، وهو يلوّح بذراعه فى حدة ، ويقول :

- كلاّ .. الأمر لم يعد يحتمل .. صحيح أن أحدهم حاول قتلى ، ولكن هذا لا يبرّر تلك الإجراءات المعقّدة ، التى تتخذونها .. لا مغادرة لمبنى السفارة .. لا اقتراب من النوافذ .. الستائر تُسدل طوال الوقت .. الإبلاغ عن أية تحركات مسبقًا .. هذا يجعلنى أشعر وكأننى سجين هنا ، ولست سفير دولة محترمة فى مبنى سفارته .

تبادل (أشرف) و (ياسر) نظرة صامتة ، فى حين قال قائد الأمن فى هدوء :

- الغرض من كل هذه الإجراءات هو توفير الحماية اللازمة لك يا سيّدى السفير ، حتى نعبر هذه الأزمة .

صاح السفير فى حدة :

- ولكن هذا يتجاوز كل الحدود .

أجابه (أشرف) هذه المرة فى حزم :

- خصمنا أيضًا يتجاوز كل الحدود يا سيادة السفير ، ولديه استعداد للّجوء إلى كل الوسائل بلا قيود ، حتى

يظفر بك ، ومهمتنا هى حمايتك من غدره وشروره ، بأية وسيلة كانت .

صمت السفير بضع لحظات ، ثم قال بصوت هادئ ، يشفّ عن اقتناعه بالأمر :

ـ المهم ألا تبالغوا .

ابتسم (أشرف) ، قائلاً :

ـ سنبذل قصارى جهدنا يا سيادة السفير .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دلف مدير مكتب السفير إلى الحجرة ، وهو يقول :

ـ معذرة أيها السادة ، ولكن مفتش الشرطة اليابانى (ياماموتو) يطلب مقابلة السيّد السفير .

تبادل الرجال الأربعة نظرات اهتمام ، ثم بدأ (ياسر) الحديث ، قائلاً فى حزم :

ـ فليكن .. دعه يدخل .. لابد وأن نعرف ما لديه .

ثم أشار إلى (أشرف) وقائد الأمن ، مستطرداً :

ـ راجعا وسائل الأمن جيداً ، وتأكّدا من أن هذا المفتش لا يحمل أية أسلحة ، ثم اتركانى والسفير معه وحدنا .

غادر الاثنان الحجرة بسرعة ، فى حين ظلّ السفير

صامتاً دون اعتراض ، حتى سمع صوت دقات على باب حجرته ، فدعا صاحبها إلى الدخول باليابانية ..

ووقف (ياسر) صامتاً ، حتى دلف المفتش (ياماموتو) إلى الحجرة ، وهو يقول فى ارتباك ، وبلغة إنجليزية ركيكة :

ـ صباح الخير يا سيادة السفير .. معذرة لحضورى فى هذا الوقت المبكر ، ولكنهم أسندوا إلىّ مهمة التحقيق ، فى البلاغ الذى قدّمته لوزارة الخارجية ، وهم يضغطون للانتهاء منه فى أسرع وقت ، فالسيّد (يوشيدا) من الشخصيات البارزة فى المجتمع كما تعلم ، و ..

قاطعه السفير فى هدوء ، بلغة يابانية سليمة :

ـ يمكنك أن تتحدّث باليابانية أيها المفتش ، فأعتقد أننى أجيدها ، بأفضل ما تجيد أنت الإنجليزية .

تهلّلت أسارير المفتش ، وهو يقول :

ـ حقاً ؟!

ثم ألقى نظرة مستريبة على (ياسر) ، مستطرداً :

ـ وماذا عن السيّد ؟!

أجابه السفير فى حزم :

ـ إنه حارسى الخاص .

بدا (ياسر) هادئـا ، وهو يقف إلى جوار الباب ، فتطلع إليه المفتش لحظة ، ثم هزّ رأسه ، وهرش شعره ، قائلا :

ـ قل لى يا سيادة السفير : ما الذى رأيته بالضبط ، فى المنطقة الصناعية ؟!

أجابه السفير :

ـ لقد أوردت كل ما شاهدته فى التقرير ، الذى قدمته لوزارة الداخلية عندكم .

تنهّد (ياماموتو) ، وهو يتمتم :

ـ عجبًا !.. ولكن شهادتك لا تتفق مع الوقائع التى تشفّ عنها دراسة مسرح الجريمة المفترض .

سأله السفير فى دهشة :

ـ كيف ؟!

تنهّد (ياماتوتو) مرة أخرى ، ومطّ شفتيه ، ورفع حاجبيه وخفضهما ، قبل أن يقول فى حيرة :

ـ إننا لم نجد أية آثار لإطارات تلك السيارة السوداء ، التى أشرت إليها ، ولا للأخرى الحمراء .. كل ما وجدناه هو آثار إطارات سيارتك الصغيرة وحدها ، فى نفس الموقع الذى حددته .

لم يبد أى انفعال على وجه (ياسر) ، وكأنه لم يفهم كلمة واحدة من الحديث ، الذى يدور باليابانية ، فى حين هتف السفير فى انفعال :

ـ ولكن هذا مستحيل !.. لقد رأيت ما حدث بنفسى ، ووصفته فى تقريرى بمنتهى الدقة .

أومأ (ياماموتو) برأسه ، قائلا :

ـ بالتأكيد يا سيدى السفير .. بالتأكيد .. ليس لدى أدنى شك فى صحة إفادتك .

ثم تردد لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ ولكن مسرح الجريمة ..

لم يتمّ عبارته ، واكتفى بهزة كتف ، احتقن لها وجه السفير ، وهو يقول :

ـ يا للأوغاد !.. لقد عبثوا بالمكان ، أخفوا آثار وجودهم فى موقع الجريمة .

تردد (ياماموتو) مرة أخرى ، وهرش رأسه ، وهو يغمغم :

ـ فى الواقع أنه ليس لدينا دليل حاسم على وقوع جريمة قتل .

هتف السفير :

ـ ماذا ؟! ولكنهم قتلوا الصحفى المسكين أمام عينىّ .

تنهد (ياماموتو) ، قائلاً :

ـ ولكننا لم نعثر على جثته هناك ، ولا فى أى مكان آخر ، كما أن كل الدلائل تشير إلى أنه قد سافر إلى جنوب شرق (آسيا) ، لتتبع تحقيق صحفى ، أبرق بفكرته إلى صحيفته من هناك .

هتف السفير فى دهشة بالغة :

ـ مستحيل !

تابع المفتش ، وهو يتطلع إلى وجه السفير فى اهتمام :

ـ فحص الكمبيوتر أثبت أنه ابتاع تذكرة طيران إلى (تايوان) ، ولقد استقل الطائرة بالفعل صباح أول أمس ، وابتاع معطفًا من الجلد ببطاقته الائتمانية من هناك مساء أمس ، ويقيم فى فندق خمس نجوم هناك .. ولو أضفنا البرقية التى أرسلها ، فسنجد أنه قد سافر بالفعل ، ولم يلق مصرعه هنا .. هذا ما يقوله المنطق .

قال (ياسر) فجأة فى صرامة :

ـ وماذا تقول التحريات المباشرة ؟!

نطق سؤاله بلغة يابانية سليمة ، فالتفت إليه المفتش بشىء من الدهشة ، وهو يغمغم :

ـ عجبًا !.. أنت أيضًا تتحدث اليابانية بطلاقة .

قال (ياسر) فى صرامة :

ـ وهل سبق وأن ادعى أحدنا العكس ؟

هزّ المفتش كتفيه ، مغمغمًا :

ـ كلا .. ولكن ..

لم يستطع إكمال عبارته ، أو أنه لم يجد ما يتممها به ، فاكتفى بتنهيدة ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى بسؤالك عن التحريات المباشرة ؟

أجابه (ياسر) فى حزم :

ـ أعنى أن فحص الكمبيوتر يمكن أن يخدع كثيرًا ، فتذاكر الطيران يمكن شراؤها بأى اسم ، وأى شخص يمكنه استخدام بطاقة ائتمان باسم شخص آخر ، وكذلك إرسال برقية ما ، من أى مكان فى العالم ، بأى اسم كان ، ولكن التحريات المباشرة ، مع صورة للشخص المطلوب ، يمكنها أن تكشف الكثير ، وأن تعلن أن من سافر إلى (تايوان) ، وأقام فى فندقها ، وابتاع المعطف الجلدى ، وأرسل البرقية إلى الصحيفة ، لم يكن (موكيتا) أبدًا .

بدا الاهتمام على وجه المفتش ، وهو يتمتم :

ـ ولكن هذا يحتاج إلى بعض الوقت والإجراءات .

هزّ (ياسر) كتفيه ، قائلاً :

ـ ومن يتعجّل الأمور ؟.. المهم أن تصل إلى الحقيقة .

تطلع إليه المفتش لحظة فى صمت ، ثم أومأ برأسه ، مغمغمًا :

ـ نعم .. المهم أن تصل إلى الحقيقة .

ثم اعتدل ، وشدّ قامته ، مستطردًا :

ـ حسنًا .. أشكرك كثيرًا على تجاوبك يا سيادة السفير ، وأرجو ألا أكون قد أزعجتك .

وصافحهما فى حرارة ، ثم غادر السفارة فى خطوات سريعة ، وتابعه (أشرف) وقائد الأمن ببصريهما فى اهتمام ، حتى استقلّ سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ، فغمغم الأوّل :

ـ ما رأيك به ؟!

هزّ قائد الأمن رأسه ، قبل أن يجيب :

ـ لم ألتق به سوى ثوانٍ معدودة ، ولكننى لو أطعت حدسى ، وتجاوزت قواعد الأمن ، والشكوك التى أصبحت تراودنى ، تجاه كل من يقترب من السفارة ، لقلت : إنه يبدو لى كرجل شريف .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان المفتش (ياماموتو) يقطع شوارع (طوكيو) بسيارته المتواضعة ، وعقله يستعيد كل كلمة نطق بها (ياسر) .

نعم .. المهم هو التوصّل إلى الحقيقة .. أيًا كانت ..

صحيح أن (يوشيدا) سان من كبار رجال المجتمع والصناعة ..

ولكن الكل يعلم عن صلاته المشبوهة ..

ثم إن هناك أمرًا ما يقلقه ..

لماذا وقع اختيار رئيس الشرطة عليه بالتحديد ؛ ليتولى هذه القضية ، التى يمكن أن تثير الرأى العام كله ؟!..

لماذا اختاره ، على الرغم من تقاريره غير الجيّدة ، متجاوزًا خمسة على الأقل من أفضل المحققين ، فى قسم جرائم القتل والاختطاف ؟!..

هل فعل هذا عمدًا ، لغرض ما ؟!..

هل اختاره خصيصًا ليضمن فشل التحقيقات ؟!..

وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!..

تنهّد فى حرارة ، وهو يستعيد كلمات (ياسر) ثانية ، وبدا له حديثه منطقيًا للغاية ..

لماذا تجاهلوا التحريات المباشرة ؟!..

لماذا توضع العقبات أمام هذه القضية ، على الرغم من أهميتها ؟!..

احتشد رأسه بقدر هائل من التساؤلات ، وهو ينطلق بسيارته شاردا ، حتى انتبه فجأة إلى أنه يتجه نحو المنطقة الصناعية مباشرة ، فانعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

ـ ولم لا ؟!.. إننى لم أفحص المنطقة بنفسى ، مكتفيًا بتقرير المعمل الجنائى .

واصل طريقه فى حزم ، حتى بلغ مسرح الجريمة ، وأوقف سيارته هناك ، وأضاء مصباحيها ليفحص المنطقة بعينيه ، قبل أن يغادر سيارته ، ويتجول فيها بخطوات بطيئة ، وبصره يمشط كل ما أضاءه مصباحا السيارة ..

وكان كل شىء يبدو مطابقًا لتقرير المعمل الجنائى إلى حد كبير ، حتى إنه تنهد فى توتر ، مغمغمًا :

ـ يا لسخافتك يا (ياماموتو) !.. تركت بعض الأفكار السخيفة تقودك بعيدًا ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدق فى بقعة ما ، ثم لم يلبث أن اتجه نحوها فى خطوات سريعة ، متمتمًا :

ـ رباه ! .. هل يمكن أن ..

لم يتمّ عبارته ، هذه المرة أيضًا ، وهو ينحنى ليفحص تلك البقعة فى اهتمام جارف ، قبل أن يرتفع حاجباه فى دهشة ، ويهتف :

ـ رباه !.. المصرى كان على حق .

فما أمامه كان يهدم محاولة إخفاء الجريمة من أساسها ..

يهدمها تمامًا ..

* * *

استعاد (قدرى) ذكرى الأيام الخوالى ، وهو يجلس فى حجرته الخاصة ، فى مبنى المخابرات العامة المصرية ، منهمكًا فى صنع جواز السفر الدبلوماسى الأمريكى ، وإضافة تأشيرة الدخول اليابانية إليه ..

كان عملاً بالغ الدقة ، استغرق فيه بحواسه كلها ، وبأصابعه التى استعادت كل مهارتها ، بعد فترة طويلة من التدريب والمران ، اللذين تغلبا على ما فعلته (سونيا جراهام) بيده يومًا(*) ..

ومع استغراقه الشديد ، لم يشعر (قدرى) بذلك

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

الشخص ، الذى فتح باب الحجرة فى هدوء ، وتسلل إليها فى خفة ، واقترب منه على أطراف أصابعه ، حتى صار خلفه تمامًا ، وألقى نظرة على عمله ، ثم تمتم بشىء من الغضب :

ـ كنت أتوقع هذا .

انتفض (قدرى) فى عنف ، حتى إن جواز السفر سقط من يده ، وهو يلتفت بجسده الضخم البدين إلى صاحب الصوت ، هاتفًا :

ـ يا إلهى !.. سيادة المدير .

التقط المدير جواز السفر فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

ـ كنت أعلم أنك ستسعى لمعاونة (أدهم) ، دون أن تفكر فيما يمكن أن يؤدى إليه هذا .

حاول (قدرى) استعادة جواز السفر ، وهو يقول :

ـ سيدى .. أرجوك .

أبعد المدير الجواز عن متناول يده ، وهو يقول فى حدة :

ـ ألن تكف عن هذا الأسلوب السخيف فى مخالفة الأوامر ؟!.. ألم تتعلم بعد أن الروتين والتعنت لا مجال لهما هنا ، وأننا عندما نصدر قرارًا ما ، فهذا يعنى أننا درسناه جيدًا ، ووجدنا أنه أفضل ما يمكن اتخاذه ؟!

قال (قدرى) فى عصبية :

ـ لا يمكننى أن أتخلى عن (أدهم) .

صاح به المدير :

ـ ولكنك بمعاونتك له على السفر إلى (طوكيو) ، إنما تدفع به نحو حتفه مباشرة ..

ودس جواز السفر فى جيبه ، قبل أن يستطرد فى حدة :

ـ أنت تعلم مثلى أنه لم يستعد لياقته كاملة بعد ، ولكن عناده يدفعه إلى السفر لحماية قائده السابق ، على الرغم من ثقته فى أنه سيواجه قوة لا قبل له بها هناك ، وفى أننا نبذل قصارى جهدنا ، لتوفير أفضل حماية ممكنة للرجل .

غمغم (قدرى) :

ـ لو أنك فى نفس الموقف ، لما ترددت عن فعل هذا من أجلك أيضًا .

تنهد المدير ، قائلاً :

ـ أعلم هذا .

وصمت لحظة ، وكان تأثره يمنعه من الاستطراد ، ثم تابع فى حزم :

ـ لذا فنحن نسعى لحمايته من نفسه .

قال (قدرى) فى عصبية :

- (أدهم) رجل ناضج ، ومن حقه اتخاذ القرار ، الذى يراه مناسبًا .

صمت المدير لحظة ، ثم أجاب فى صرامة :

- وكذلك نحن .

قالها ، وغادر الحجرة فى خطوات واسعة حاسمة ، وصفق بابها خلفه فى عنف ، وكأنما يعلن نهاية المناقشة ..

وإلى الأبد ..

* * *

بدأ الصباح التالى حارًا ، على نحو يفوق كل المعدلات المعتادة ، فى تلك الفترة من العام ، وبالذات فى تلك البقعة شبه المهجورة ، على مشارف (يوكوهاما) ، التى أوقف عندها (أوهارا) سيارته ، وغادرها ليطلق زفرة حارة ، مغمغمًا فى شىء من الحنق :

- اللعنة !.. ألم يجد (ناتاسون) مكانًا أسخف من هذا .

كانت الأرض المحيطة به وعرة ، تمتد لمسافة طويلة ، من الواضح أنها خارج نطاق السير المعتاد ،

أو الطرق الممهدة ، وفى نهايتها ، بالقرب من الشاطىء المهجور ، كان يرتفع تل كبير ، إلى مسافة عشرين مترًا تقريبًا ، وفوقها يبدو معبد قديم ، من معابد (بوذا)(*) يتوسطه تمثال كبير لهذا الأخير ، يحتل معظم المكان ..

ولثوان ، تعلقت عينا (أوهارا) بذلك المعبد الصغير ، قبل أن يهز رأسه ، ويخلع سترته ، ليحملها على ذراعه ، ويقطع تلك المنطقة الوعرة ، فى اتجاه تل المعبد ..

لم تكن المسافة تزيد عن مائة متر ، وعلى الرغم من هذا فقد قطعها (أوهارا) فى وقت طويل ؛ بسبب وعورة الأرض ، التى بدت وكأنها متعمدة ؛ لمنع الغرباء من الوصول إلى المكان ..

(*) البوذية : نظام فلسفى أخلاقى ودينى ، أسسه (بوذا) (٥٦٣ - ٤٨٣ ق . م) وللبوذية صلة بالبراهمية ، ولكنها تعنى بإنكار الذات ، وضبط العواطف ، وقتل الرغبة ، أكثر من عنايتها بالشعائر ، وتهدف البوذية فى النهاية إلى تخليص الإنسان من الوجود المقيد ، والوصول إلى الفناء أو (النيرفانا) ، وقد نشأت فرق وحركات بوذية ، منها (الزن) ، الذى نما وقوى فى اليابان .

وفى حنق ، هتف المحامى ، وهو يقترب من التل :

ـ اللعنة !.. فى المرة القادمة سأصرّ على أن يلتقى بى (ناتاسون) فى مكتبى ، وليس فى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، قفز شبحان متشحان بالسواد أمامه بغتة ، وكأنما خرجا من قلب الأرض ، وكل منهما يطلق صرخة قتالية مخيفة ، ويشهر فى وجهه سيفًا ضخمًا ، يلتمع نصله الحاد تحت أشعة الشمس القوية ..

وصرخ (أوهارا) ، وهو يقفز من مكانه مذعورًا ، وكاد قلبه يثب من حلقه ، مع خفقاته القوية ، وهو يلوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ أنا (أوهارا) .. المحامى (أوهارا) .. لدى موعد مع (ناتاسون) سان .. هذه هى الحقيقة .

لم يحرك الشبحان ساكنًا ، وصرامة الدنيا كلها تطل من عيونهما ، وسيفاهما مشهوران فى وجهه ، وأشعة الشمس المنعكسة عليهما تتراقص على وجهه ، دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة ، وكأنما استحالا إلى تمثالين من الشمع الأسود ..

وظلّ جسد المحامى ينتفض لدقيقة كاملة ، دون أن

يتغيّر الموقف ، فجفف العرق الغزير ، الذى غمر وجهه كله ، وهو يتمتم :

ـ اللعنة !.. هل سنظلّ هكذا إلى الأبد ؟!

صكّت ضحكة عالية مسامعه ، من فوق التل ، فرفع عينيه إلى مصدرها ، ووقع بصره على رجل ممشوق القامة ، متين البنيان ، يرتدى معطفًا حريرًا أسود ، ويشير إليه ، قائلاً :

ـ اصعد يا (أوهارا) .. أنا فى انتظارك .

صاح به (أوهارا) فى غضب :

ـ أكان من الضرورى أن تفزعنى أولاً ؟!

هزّ الرجل كتفيه ، وقال فى صرامة :

ـ الرجال يؤدون واجبهم يا رجل .. هيا .. اصعد .. ستجد طريقًا ممهدًا فى الجانب الجنوبى للتل .

مطّ (أوهارا) شفتيه فى حنق ، وتجاوز الرجلين فى حذر ، وتقدّم نحو التل ، وهو يلقى نظرة متوترة عليهما ، وأدهشه أن عاد كل منهما يرقد على ظهره أرضًا ، ثم يخفى جسده بقطع من الصخور والحصى ، فتمتم :

ـ عجبًا !.. كيف يحتملون الرقود فى هذا الطقس الرهيب ؟!

ظل هذا السؤال حبيسًا فى صدره ، حتى بلغ قمة التل ، ولم يكد (ناتاسون) يستقبله ، حتى ألقاه عليه فى عصبية ، فابتسم هذا الأخير ، وقال فى حزم :

ـ لقد تدربوا على الصبر وقوة الاحتمال .

رفع (أوهارا) حاجبيه فى دهشة ، قبل أن ينتزع من وسط لهاثه ضحكة عالية ، قائلاً :

ـ ما الذى تفعله برجالك يا (ناتاسون) ؟! .. هل تسعى لتحويلهم إلى ثيران متوحشة ؟!

أجابه (ناتاسون) فى صرامة :

ـ يجب أن يستحقوا لقب (النينجا) عن جدارة يا رجل .

ثم أشار إلى المعبد ، مستطردًا :

ـ هل ترغب فى إلقاء نظرة على تدريباتهم ؟

هتف المحامى فى حماس :

ـ بالتأكيد .

اصطحبه (ناتاسون) إلى داخل المعبد ، وهو يقول :

ـ الأسلوب الذى نتبعه هنا فريد بحق ، ولكنه يحقق الهدف الذى أسعى إليه ، منذ ما يقرب من ربع القرن .. إننا نتولى أمرهم وهم بعد صبية صغار ، دون العاشرة من العمر ، ونخضعهم لنظام قاس محكم ، بحيث

يتدربون على كل الرياضات اليدوية ، على أيدى مدربين محترفين ، وعندما يبلغون الخامسة عشرة ، تبدأ تدريبات السلاح والمبارزة ، ثم تدريبات الرماية فى الثامنة عشرة ، وعندما يبلغون العشرين من العمر ، يكون الواحد منهم قد تحوّل إلى مقاتل من طراز فريد فذ ، يمكنه التفوق على فرقة كاملة بمفرده .

سأله (أوهارا) فى دهشة ، وهو يتلفت فى المعبد الخالى فى حيرة :

ـ ولكن من ذا الذى يمنحك ابنه ، ليتلقى كل هذه التدريبات العنيفة ، فى أجمل سنوات عمره ؟!

ابتسم (ناتاسون) فى سخرية ، وقال :

ـ ومن يرغب فى الحصول على صبى له أبوان يصابان بالقلق ، ويلقيان عشرات الأسئلة طوال الوقت ؟!

هتف المحامى :

ـ هل تعنى أن ..

قاطعه (ناتاسون) ، قبل أن يكمل سؤاله :

ـ لا تذهب بخيالك بعيدًا .. إننا لا نختطف أحدًا ، فهذا يؤدى إلى تحقيقات شرطة ، وعمليات بحث ، قد تؤذى يومًا أمننا الشخصى ، أو تدفع البعض إلى دس أنفه فى شئوننا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ إننا نفضّل إجراءات التبنى الرسمية .

قالها ، وأطلق ضحكة عالية مجلجلة ، ثم ربّت على ظهر المحامى فى قوة ، قائلًا :

ـ لماذا تتلفت حولك فى حيرة هكذا يا رجل ؟

جفف (أوهارا) عرقه الغزير ، وهو يجيب :

ـ المعبد خال تمامًا يا (ناتاسون) ، ولست أرى أية صبية أو رجال ، أو ألمح ساحة تدريب واحدة .

ابتسم (ناتاسون) ، وهو يقول :

ـ قلت لك : إننا لا نميل إلى إثارة الفضول يا رجل .

قالهـا ، وضغط أحد النقوش العديـدة ، فـى تمثـال (بـوذا) ، فدارت قاعدتـه حـول نفسـها ، كاشـفة فجـوة كبيرة ، أشار إليها (ناتاسون) ، مستطردًا :

ـ لهذا نحرص على مزاولـة تدريباتنـا ، بعيدًا عن الأنظار .

حدّق (أوهارا) فى الفجوة بدهشـة ، قبـل أن يهتـف فى انبهار :

ـ صدقنى يا (ناتاسون) .. احترامى لك يتضاعف ، فى كل مرة نلتقى فيها .

أطلق (ناتاسون) ضحكة عالية ، وهما يهبطان فى درجات سلم طويل إلى أعماق الفجوة ، وقال فى زهو :

ـ المبدأ الذى نؤمن به هنا ، هو أنه لا حدود للطاقـة والقـدرات البشـرية ، فـى ظـل تدريبـات منسّـقة ، مدروسـة ، ومكثّفـة ، تحت إشراف خـبراء فـى شـتى المجـالات ، ولأننـا نبدأ فى تدريب مقاتلينـا وهـم دون العاشرة ، فلا يدهشنك أنهم قـادرون على كسر بعض الأرقام القياسية ، التى حققهـا أبطـال الأوليمبيـاد فـى السنوات الأخيرة .

ومع آخر عبارته ، بلغا ساحة هائلة فى قلب التل ، يرتفع سقفها ثمانية أمتار كاملة ، وتكتظ بعدد كبير مـن الصبية والفتيان والشباب ، فى ملابس سوداء قاتمـة ، وكل مجموعة منهم تنهمك فى مزاولة رياضة ما ..

جودو(*) ..

تايكوندو(**) ..

(*) الجودو : نـوع مـن المصارعة ، منشؤها (اليابـان) ، لا تتطلب قـوة عضليـة كبيرة ، بل تعتمـد علـى تطبيـق الأسس التشريحية للجسم ، واللعبة لها اتحاد دولى ، وتم إدراجها للمرة الأولى فى الألعاب الأوليمبية فى طوكيو ، عام ١٩٦٤ م .

(**) التايكوندو : رياضـة للدفـاع عن النفس ، تعدّ تطويرًا لرياضة الكاراتيه ، وهى تشـبهها فـى قواعدهـا الأساسية ، ولكنها تعتمد على القدمين أكثر مما تعتمد على ضربات اليد .

مبارزة بسيوف ضخمة ..

رماية ..

وبعضهم كان يستخدم سلاحا صغير الحجم ، فى شكل نجمة معدنية حادة الأطراف والزوايا ، يلقونها فى مهارة ، فتصيب أهدافها بمنتهى الدقة ..

وفى انبهار كامل ، هتف (أوهارا) :

ـ ألم أقل لك : إن احترامى لك يتضاعف فى كل مرة يا (ناتاسون) سان .

امتلأت ملامح (ناتاسون) بالزهو والفخر ، وهو يقول :

ـ لن تجد فى العالم أجمع من هم فى مهارة مقاتلينا يا (أوهارا) .. إنهم الوحيدون ، الذين أتيحت لهم فرصة نادرة ، لبدء تدريباتهم الجادة فى الصغر ؛ لذا فهم وحدهم يستحقون لقب (النينجا) .

راقب المحامى التدريبات لحظات فى انبهار ، قبل أن يقول فى حماس :

ـ هل تعلم لماذا أنا هنا يا (ناتاسون) سان ؟!

عقد (ناتاسون) ذراعيه أمام صدره ، وهو يقول بلهجة أقرب إلى السخرية :

ـ لماذا يا (أوهارا) سان ؟

أشار (أوهارا) إلى المقاتلين ، مجيبًا :

ـ لأستأجر بعض مقاتليك الأفذاذ ؛ للقيام بمهمة خاصة يا رجل .

انعقد حاجبا (ناتاسون) فى شدة ، وهو يقول :

ـ لا أحد يستأجر مقاتلى (ناتاسون) يا رجل .

امتقع وجه (أوهارا) ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكن الرجل استدرك بسرعة :

ـ يمكنك فقط أن تتعاقد معهم ، للقيام بعمل ما ، مقابل أجر طيب .

تنهّد المحامى فى ارتياح ، والتقط سيجارًا فاخرًا من جيبه ، وهو يقول بلهجة المفاوض :

ـ وكم يبلغ هذا الأجر الطيب ؟!

قال (ناتاسون) فى حزم :

ـ هذا يتوقّف على طبيعة المهمة .

دسّ المحامى طرف السيجار بين أسنانه ، وقال :

ـ إنها مهمة صعبة يا (ناتاسون) .

أجابه زعيم (النينجا) فى صرامة :

ـ لا توجد مهمة صعبة ، بالنسبة لمقاتلى (ناتاسون) .

أخرج المحامى قداحته ، قائلاً :



انطلقت نجمة حادة فجأة عبر القاعة ، وأصابت منتصف السيجار ، وانتزعته من بين شفتي (أوهارا) المذعور ..

ـ المطلوب منهم اغتيال السفير المصرى ، داخل السفارة المصرية ، المحاطة بكل وسائل الأمن المعروفة .

انعقد حاجبا الزعيم ، وهو يسأل :

ـ اغتيال سياسى ؟!

أجابه المحامى ، وهو يشعل سيجاره :

ـ مطلقا .. إنه أمر شخصى بحت .. يمكنك أن تقول إن وجوده على قيد الحياة يهدد حرية وحياة عميلى .

صمت الزعيم لحظة ، ثم قال :

ـ فى هذه الحالة ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت نجمة حادة فجأة عبر القاعة ، وأصابت منتصف السيجار ، وانتزعته من بين شفتى (أوهارا) المذعور ، لتطير به إلى الجدار المقابل وتنغرس فى قوة .

واتسعت عينا المحامى فى ارتياع ، فى حين ابتسم (ناتاسون) ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلا :

ـ نسيت أن أخبرك أن التدخين محظور هنا .

اتسعت عينا (أوهارا) ، وهو يحدّق فى السيجار المغروس فى الجدار ، وإلى النجمة الحادة فى منتصفه ، ثم لم يلبث أن انفجر ضاحكا ، وهو يهتف :

ـ هذا يروق لى .. يروق لى كثيرا .

ثم التفت إلى (ناتاسون) ، وصافحه فى حرارة ، مستطردًا فى حماس :

- اعتبر أننا قد تعاقدنا يا رجل ، وبأى ثمن يطلبه رجالك .

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتى (ناتاسون) ، وهو يقول :

- اتفقنا .

وكانت هذه المصافحة إيذانًا ببدء فصل جديد من فصول القصة ..

فصل حاسم ..

وخطير .

* * *





٦ - التحدّى ..

احتقن وجه رئيس الشرطة (فوجى ياما) على نحو ملحوظ ، وهو يقرأ ذلك التقرير ، الذى قدّمه له المفتش (ياماموتو) ، وانتقل توتره إلى صوته على نحو ملحوظ ، وهو يرفع عينيه إليه ، قائلاً :

- أى تقرير هذا يا (ياماموتو) ؟!.. كيف تؤكّد أن الصحفى (موكيتا) قد لقى مصرعه بالفعل ، ولم يسافر إلى (تايوان) ، على الرغم من تقارير المتابعة ، التى تؤكد العكس تمامًا .

أجابه (ياماموتو) ، فى حزم لم يعهده فيه من قبل قط :

- تقارير المتابعة كلها مخطئة يا سيدى .

صاح به (فوجى) فى حدة :

- ماذا دهاك يا رجل ؟.. كيف تجرؤ على اتهام واضعو التقارير بالخطأ ؟!.. ألا تعلم أنهم من أكثر رجالنا كفاءة .

أجابه (ياماموتو) بنفس الحزم الواثق :

ـ لست أشكك فى كفاءتهم يا سيدى ، ولا فى أنهم قد أدوا واجبهم على أكمل وجه ، وهم يفحصون مسرح الجريمة ، الذى تم تعديله وتمهيده قبل وصولهم ، لإخفاء كل أثر لجريمة القتل .

ازداد احتقان وجه رئيس الشرطة ، وهو يهتف :

ـ ماذا تقول يا (ياماموتو) ؟

أجابه المفتش بسرعة :

ـ أقول يا سيدى إن الذين ارتكبوا جريمة القتل ، أيا كانت هويتهم ، قد عادوا إلى مسرح الجريمة فيما بعد ، وتخلصوا من جثة (موكيتا) المسكين ، ثم أزالوا معالم الجريمة ، وآثار السيارات من الأرض غير الممهدة ، وبعدها أرسلوا أحدهم لشراء تذكرة الطيران ، والسفر إلى (تايوان) ، واستخدام بطاقات الائتمان الخاصة بالصحفى ؛ للإيحاء بأنه ما زال على قيد الحياة .

هتف رئيس الشرطة :

ـ ولماذا تفترض كل هذا ؟! .. لماذا لم تقتنع بأن (موكيتا) هو الذى سافر بنفسه ، كما أكدت كل تقارير المتابعة ، وكما أكد فحص الكمبيوتر .

شد المفتش قامته باعتداد ، وهو يقول :

ـ لأن هناك شيئا بالغ الأهمية ، لا يمكن أن يسافر أى صحفى بدونه ، مهما كانت الأسباب .

ثم مال نحوه ، مستطردا فى حزم :

ـ بطاقته الصحفية .

اتسعت عينا رئيس الشرطة ، وهو يردد مبهوتا :

ـ بطاقته الصحفية ؟!

أومأ المفتش (ياماموتو) برأسه إيجابا ، واعتدل قائلا :

ـ نعم يا سيدى .. بطاقته الصحفية ، التى عثرت عليها فى مسرح الجريمة ، تحت كومة من التراب ، بحيث لم ينتبه إليها من أعادوا تمهيد المكان ، ولولا أن انعكس ضوء مصباح سيارتى على طرفها البارز ، لما انتبهت بدورى لوجودها .

ازدرد رئيس الشرطة لعابه فى صعوبة ، وهو يحدق فى وجه المفتش ، الذى تصوره أغبى رجل فى إدارته ، وغمغم :

ـ وأين هذه البطاقة ؟!

ألقى السؤال ، وهو يضع فى ذهنه خطة جديدة ، تعتمد على الحصول على البطاقة ، واستبدالها بأخرى زائفة ، ثم ..

« سلمتها لوزارة الخارجية .. »

جاء جواب المفتش (ياماموتو) لينسف خطته من أساسها ، قبل أن يكمل وضعها ، فانتفض جسده فى عنف ، وهب من مقعده ، صارخًا :

- سلمتها إلى ماذا ؟!

أجابه المفتش فى هدوء ، وبلهجة تحمل نبرة تحدٍ :

- كان الوقت متأخرًا ، وأنت طلبت عدم إزعاجك إلا للضرورة القصوى ، فى حين كانت أوامر وزارة الخارجية تحتم إبلاغها بأية تطورات فور حدوثها ؛ لذا فقد وجدت من اللائق أن أذهب إليهم ، فى منتصف ليلة أمس ، وأسلمهم البطاقة ، التى تؤكد أن الصحفى لم يغادر البلاد قط .

اتسعت عينا (فوجى ياما) ، وهو يتراجع مبهوتًا ، حتى سقط ثانية فوق مقعده ، وحاول التظاهر بالتماسك ، وهو يعدل رباط عنقه بلا داع ، قائلًا :

- من يدرى ؟.. ربما تركها خلفه لـ ..

قاطعه المفتش (ياماموتو) فى لهجة تفوح منها رائحة الشماتة :

- كلا يا سيدى .. لقد أرسلت وزارة الخارجية صورة البطاقة بالفاكس إلى (تايوان) ، وهناك قام رجالها

ببعض التحريات ، فأثبتوا أن الذى أقام بالفندق ، وابتاع المعطف الجلدى ، وأرسل البرقية إلى الجريدة ، لم يكن يشبه حتى صورة (موكيتا) فى بطاقته الصحفية .

تمتم (فوجى ياما) مبهوتًا :

- هل فعلوا كل هذا بهذه السرعة ؟!

هز (ياماموتو) كتفيه ، قائلًا :

- من الواضح أن الأمر يهمهم جدًا .

تنهد رئيس الشرطة فى توتر ملحوظ ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد يا (ياماموتو) .. بالتأكيد .

وجفف عن وجهه عرقًا وهميًا ، قبل أن يستطرد فى عصبية :

- مجهود رائع يا رجل .. ستحصل من أجله على مكافأة بالتأكيد .. والآن عد إلى مكتبك ، واتركنى أتابع الأمر .

تنحنح (ياماموتو) ، قائلًا :

- معذرة يا سيدى ، ولكننى لا أستطيع العودة إلى مكتبى ؛ فأمامى عمل كثير لأؤديه .

سأله (فوجى ياما) فى دهشة :

- أى عمل ؟!

ارتسمت على شفتى (ياماموتو) ابتسامة غامضة ، وهو يجيب :

ـ فجر اليوم ، وبناء على توصية من السيد وزير الخارجية ، كلفنى السيد وزير الداخلية شخصيًا بتولى أمر التحقيق ، الخاص بجريمة قتل (موكيتا) ، ولدى أمر من النائب العام باستجواب السيد (يوشيدا) بنفسه .

عاد وجه رئيس الشرطة يحتقن ، وهو يتمتم :

ـ بالطبع يا (ياماموتو) .. أنت تستحق هذا الشرف بكل تأكيد .. أتمنى لك التوفيق .

انحنى المفتش ، قائلاً :

ـ أشكرك يا (فوجى ياما) سان .. أشكرك من كل قلبى .

قالها ، وغادر الحجرة ، ووجهه يحمل ابتسامة واثقة كبيرة ، ويغمغم فى صرامة تمتزج بالسخرية :

ـ كم أتمنى أن ينغرس الندم فى قلبك ، ويلتهم أحشاءك فى بطء ، لأنك أسندت إلىّ هذه المهمة يا (فوجى ياما) .. سان .

نطقها ، وهو واثق من أن رئيس الشرطة منشغل الآن بإبلاغ ما حدث لسيده الحقيقى ..

(فاكويوشيدا) ..

سان ..

* * *

بدا التوتر على وجه السفير المصرى ، وهو يتابع ما يفعله (أشرف) فى اهتمام بالغ ، ثم قال فى شىء من العصبية :

ـ قل لى يا رجل : هل تعتقد أن هذا الزجاج العاكس ، الذى وضعتموه على النوافذ ، سيمنع محاولات الاغتيال ؟

أجابه (أشرف) فى هدوء :

ـ إنه سيمنع من بالخارج من رؤية من بالداخل على الأقل ، فى حين لا يمنع العكس ؛ نظرًا لطبيعته المزدوجة .

قال السفير :

ـ ويمنع أى قاتل محترف من تصويب بندقيته علىّ بالطبع .

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى (أشرف) ، وهو يجيب :

ـ هذا صحيح يا سيادة السفير ، ولكننا نعتقد أن هذه المحاولة لن تتكرر أبدًا .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف :
- وأن المحاولة الأولى لم تستهدف قتلك فعليًا .
هتف السفير فى دهشة :
- لم تستهدف قتلى ؟! .. ماذا تقول يا رجل المخابرات ؟! .. لقد أطلق ذلك القاتل رصاصته نحوى مباشرة ، ولولا أن دفعنى زميلك جانبًا ، للقيت مصرعى ، دون أدنى شك !!
تنهَّد (أشرف) ، قائلاً :
- القاتل الذى أطلق النار ، كان يستهدف قتلك بالفعل يا سيادة السفير ، ولكن الذين استأجروه لم يستهدفوا هذا ، وإن تمنوا نجاحه فى أداء مهمته ، ليوفر عليهم بذل المزيد من الجهد والمال ، للتخلص من المشكلة .. الهدف الحقيقى الذى دفعهم إلى استئجار قاتل تقليدى عدم القيمة ، هو دراسة رد الفعل ، الذى سنواجه به محاولته .. إنه إجراء قديم ، يتبع فى الحروب منذ أكثر من نصف قرن ، وربما من أيام الحرب العالمية الثانية ، ولقد درسناه كأسلوب نمطى ، يلجأ إليه فى المعتاد كل الخصوم الأذكياء ، المحترفون منهم والهواة .
أومأ السفير برأسه إيجابًا ، وقال :
- نعم .. إننى أحفظ هذا الأسلوب عن ظهر قلب ،

منذ كنت فى صفوف القوات الخاصة ، وحتى توليت قيادتها ، ولكننى لم أتصور أن يستخدم فى حرب العصابات هذه أيضًا !!.. كنت أظن أن هؤلاء المجرمين ليسوا بالتنظيم الكافى ، للقيام بعمل دقيق كهذا !
تنهَّد (أشرف) ، وقال :
- أعتقد أن هذا يمنحك فكرة جيِّدة عمن نواجههم يا سيِّدى .
مطَّ السفير شفتيه ، قائلاً :
- بالتأكيد .
برز (ياسر) فى هذه اللحظة ، وهو يحمل شيئًا ما فى يده ، وقال :
- معذرة يا سيادة السفير ، ولكن هناك أمر ينبغى أن أشرحه لك ، بالنسبة لخطة الأمن .
كان من الواضح أن حديث (أشرف) قد أتى ثماره بالفعل ، فقد أبدى السفير تعاونًا ملحوظًا ، وهو يقول فى حماس :
- بالطبع يا ولدى .. بالطبع .. كلى آذان مصغية .
بدت الدهشة على وجه (ياسر) لحظة ، تبادل خلالها نظرة سريعة مع (أشرف) ، ولم يكد يلمح

ابتسامته ، حتى قال ، وكأنه لم يتوقف لحظة واحدة ، وهو يقدم للسفير قناعا مطاطيًا :

ـ خطة الأمن لدينا تضع في اعتبارها كل الاحتمالات ، حتى غير المنطقي منها ؛ لذا فنحن نفترض أن الأمور ستتطور على نحو مبالغ ، لدرجة أن (فاكو يوشيدا) سيلجأ لمهاجمة السفارة بكل شراسة ، وبطريقة سافرة مباشرة ، بوساطة فريق من (الكوماندوز) ، أو حتى بهجوم بالصواريخ ، وربما يفعل هذا أو ذاك ، في محاولة لدفعك إلى الخروج من السفارة ، في محاولة للنجاة ، حيث ينتظرك قاتل محترف آخر ، ببندقية قوية ذات منظار مقرّب ، أو ربما ذات منظار للأشعة دون الحمراء .

ثم أشار إلى القناع ، مستطردًا :

ـ لو حدث هذا ، سيكون عليك أن تضع هذا القناع على وجهك ؛ لإخفاء ملامحك ، والخروج مع موظفي السفارة من الباب الرئيسي ، بحيث يعجز أي شخص عن تمييزك بينهم .

قلّب السفير القناع في يديه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ إنه قناع متقن بحق ، ولكنه لا يقارن بتلك الأقنعة

التنكرية ، التي كان يصنعها أحد ضباطي ، أيام حرب الاستنزاف .

ثم نقل بصره بين الرجلين ، مكملًا في اهتمام :

ـ أظنه يعمل في صفوفكم الآن .

تبادل (أشرف) و (ياسر) نظرة سريعة ، قبل أن يقول الأوّل :

ـ لعلك تقصد الأسطورة يا سيادة السفير .

قال السفير في دهشة :

ـ الأسطورة ؟!

أجابه (ياسر) بسرعة :

ـ نعم يا سيادة السفير .. العميد (أدهم صبري) .

ارتفع حاجبا السفير في دهشة ، وهتف في انبهار :

ـ (أدهم صبري) ؟! .. نعم .. إنه هو بكل تأكيد .. هل حصل على رتبة عميد ، في هذه السن المبكرة ؟!.. لا ريب في أنها ترقية استثنائية .. أليس كذلك ؟!

ابتسم (ياسر) ، قائلًا :

ـ سيادة العميد (أدهم) يستحق ألف ترقية استثنائية في الواقع يا سيادة السفير ، فهو المثل الأعلى لكل ضابط مخابرات في الجهاز كله ، ونحن نتناقل تفاصيل مغامراته كالأساطير ، وكل منا يحلم ببلوغ نصف مهاراته ، مع التدريب الشاق والمستمر .

تهلّلت أسارير السفير فى سعادة ، وهو يقول :

ـ هذا هو (أدهم صبرى) الذى أعرفه .. دائمًا قدوة حسنة لكل من حوله .. يا لسعادتى بما سمعته منك يا رجل !.. وكم أشعر بالفخر ؛ لأنه كان تلميذى يومًا ما .

هتف (ياسر) فى انبهار ، وهو يمد يده للسفير :

ـ تلميذك .. يا إلهى !.. اسمح لى بمصافحتك يا سيادة السفير ، فالرجل الذى تتلمذ العميد (أدهم صبرى) على يديه ، يستحق كل احترامنا وتقديرنا .

تصافحا فى حرارة ، وهمّ السفير بقول شىء ما ، ولكن (أشرف) اندفع يقول فى اهتمام بالغ :

ـ (ياسر) .. هناك شىء ما يحدث هنا .

انعقد حاجبا السفير ، فى حين سأل (ياسر) زميله ، وهو يتجه إليه فى توتر :

ـ أى شىء هذا ؟!

أشار (أشرف) عبر النافذة إلى المبنى المقابل مباشرة ، وهو يقول فى قلق واضح :

ـ ذلك الرجل هناك ، فى تلك الشرفة ، فى الطابق الثالث .. المفترض أنه لا يستطيع رؤيتنا ، عبر الزجاج العاكس فى اتجاه واحد ، وعلى الرغم من هذا ، فيبدو لى أنه يقوم بتصويرنا على نحو ما .

غمغم (ياسر) فى دهشة ، وهو يتطلّع إلى حيث يشير (أشرف) :

ـ هذا صحيح .. إنه يستخدم آلة تصوير على ما يبدو .

وأخرج من جيبه منظارًا مقرّبًا ، وضعه على عينيه ، وتطلّع به إلى الرجل ، الذى تراجع فى سرعة ، وكأنما يراهما فى وضوح ، وراح يلملم أدواته فى توتر ، فهتف (ياسر) :

ـ رباه !.. إنه يرانا بالفعل .

انتزع (أشرف) مسدسه من غمده ، وهو يهتف به :

ـ احم أنت السفير يا رجل .. هذا دورى .

قالها ، وانطلق يعدو إلى خارج السفارة ، والسفير يهتف فى دهشة :

ـ ولكن كيف يرانا ؟!.. هذا مستحيل علميًا .

انعقد حاجبا (ياسر) ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ لا تنس أن (يوشيدا) هو الإمبراطور صناعة الأليكترونيات الدقيقة يا سيادة السفير ، ولا أحد يدرى ما توصّل إليه العلم فى هذا الشأن .

ثم استلّ مسدسه بدوره ، مستطردًا فى صرامة :

ـ ولكننا سنكتشف الأمر بعد قليل .

قالها ، واندفع نحو بوابة السفارة بدوره ، فهتف به السفير :

ـ إلى أين ؟!.

صاح (ياسر) ، وهو يعدو بكل قوته :

ـ اثنان أفضل من واحد يا سيادة السفير .. استدع قائد الأمن لحمايتك ، حتى نعود إليك بإذن الله .

هتف السفير فى حزم :

ـ أنا قائد صاعقة سابق يا رجل ، ويمكننى حماية نفسى .

ولكن (ياسر) لم يسمعه ، وهو يعدو بكل قوته خلف زميله (أشرف) ، عبر الشارع الواسع ، وقلبه يخفق فى قوة ، وقد راوده شعور عجيب بأن هذه المواجهة ستختلف عن سابقتها ..

وأنها ستكون أكثر عنفًا على نحو ما ..

أكثر بكثير ..

* * *

زفر (قدرى) فى أسى ، وقلب كفيه فى يأس ، وهو يجلس مع (جيهان) و (منى) ، فى حجرة هذه الأخيرة بالمستشفى ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ لست أدرى كيف أشرح هذا لـ (أدهم) !.. إنه ينتظر جواز السفر ، الذى وعدته به ، ليسافر إلى (طوكيو) ، بعد أن سحب مدير المخابرات جواز سفره الأصلى ، ومنعه من الرحيل إلى هناك .

هزت (منى) رأسها ، مغمغمة فى حزن :

ـ لا يمكننى أن أصدق هذا .. لا يمكننى أن أتخيل (أدهم صبرى) ، الذى جاب الدنيا كلها ، وحطم أنوف العمالقة ، سجينًا فى وطنه ، عاجزًا عن السفر لحماية قائده السابق .. لا يمكننى تصديق هذا أبدًا .

أما (جيهان) ، فسألت (قدرى) فى اهتمام :

ـ وماذا عن جواز (أميجو صاندو) المكسيكى(*) ؟

أجابها فى أسى :

ـ لقد فقده (أدهم) ، خلال مغامرته الأخيرة ، فى الولايات المتحدة الأمريكية للأسف .

التقى حاجبا (جيهان) ، وهى تقول :

ـ ولكن هناك حل لهذا حتمًا .. لن أصدق أن (أدهم) سيقف عاجزًا ، إزاء كل هذا .. سيجد حتمًا وسيلة للسفر .. أنا واثقة من هذا .

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

قلّب (قدرى) كفيه مرة أخرى فى مرارة ، قائلاً :

ـ ولكن كيف ؟!.. لا أحد يمكنه السفر بدون جواز سفر رسمى .

قالت (جيهان) فى إصرار :

ـ (أدهم) سيجد وسيلة ما .

وازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تضيف :

ـ ليس لدى أدنى شك فى هذا .

تطلّعت إليها (منى) فى صمت ، قبل أن تقول بصوت خافت :

ـ من الواضح أن ثقتك فى قدرات (أدهم) تامة .

التفتت إليها (جيهان) ، قائلة فى حزم :

ـ لن تبلغ نصف ثقتك .

ثم هبّت واقفة ، وهى تضيف فى حماس :

ـ الشىء الوحيد ، الذى تعلّمته من عملى معه ، هو أن لديه إصرارًا يكفى لبث الحماس فى قلب جيش كامل ، وأنه لا يستسلم أبدًا لأية عقبات ، أو يتوقّف عندها ، ما دام لديه هدف يسعى لتحقيقه .

انخفض صوت (منى) ، وهى تغمغم :

ـ أنت تفهمينه جيدًا بالفعل ؛ لأنك .. لأنك ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، مع الغصّة التى شعرت بها فى حلقها ، ولكن (جيهان) أكملت فى جرأة مباشرة :

ـ أحبه .. أليس كذلك ؟!.. نعم .. هذا صحيح .. أنا أحب (أدهم صبرى) كما تحبينه .. وكل منا تتصوّر أنها خير من يفهمه وأكثر من يحبه ، فى العالم أجمع .

ثم تراجعت مستطردة فى عصبية :

ـ ولكن هذا لا يهم .

ورمقت (منى) بنظرة طويلة ، قبل أن تضيف فى حزم :

ـ فقد حسم هو الأمر .

شعر (قدرى) بالحرج للموقف ، فقال فى شىء من الحذَر :

ـ ليس هذا وقت مناقشة مثل هذه الأمور الشخصية .. إننا نناقش مشكلة سفر (أدهم) .

اعتدلت (جيهان) ، وهى تقول فى حزم :

ـ دع لـ (أدهم) مشكلاته ، فهو كفيل بحلّها .. اتركه يقوم بالدور الذى يراه مناسبًا ، لحماية قائده السابق .

وانعقد حاجباها ، وهى تضيف :

ـ وسأقوم أنا بالدور الذى أراه مناسبًا .

تطلعت (منى) إليها فى دهشة ، وخفق قلبها فى قوة ، و (قدرى) يسأل (جيهان) فى حيرة حذرة :

ـ أى دور يا (جيهان) ، وفى أى شأن ؟!..

شدت قامتها فى اعتداد ، وهى تجيب :

ـ إننى فى إجازة رسمية يا (قدرى) ، وأحمل جواز سفر سويسريًا ، وهذا يجعل باستطاعتى السفر على متن أول طائرة إلى (طوكيو) .

سألها فى توتر :

ـ ولماذا ؟!

أجابت فى صرامة :

ـ لحماية سفيرنا هناك .

وصمتت لحظة ، ثم أشاحت بوجهها بعيدًا ، مضيفة :

ـ من أجل (أدهم) .

نطقتها بصوت متهدج ، وعلى نحو انتفض له قلب (منى) بين ضلوعها ..

وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

على الرغم من الشارع المزدحم بالسيارات ، بلغ (أشرف) البناية ، التى لمح فيها ذلك المتلصص ، فى

سرعة مدهشة ، ولكن حارسها استوقفه فى صرامة ، قائلاً :

ـ مهلاً يا سيدى .. غير مسموح بالدخول ، إلا للسكان وضيوفهم ، و ..

دفع (أشرف) مسدسه فى معدة الرجل ، صائحًا فى صرامة :

ـ وماذا عن هذا التصريح ؟

هتف الرجل فى ذعر :

ـ سيدى .. هذا يخالف القانون ، و ..

دفعه (أشرف) جانبًا ، واندفع داخل البناية ، هاتفًا :

ـ بالضبط .. أبلغ الشرطة يا رجل .. ولكن أسرع بالله عليك .

حدق الرجل فيه بدهشة ، مغمغمًا :

ـ أسرع ؟!

لم يتوقف (أشرف) لمناقشته ، وإنما تجاهل المصعد تمامًا ، وهو يندفع نحو السلم ، ويقفز عبر درجاته فى خفة ، متجهًا نحو الطابق الثالث ، حيث رأى الرجل ..

وفى نفس اللحظة ، التى بلغ فيها الطابق الثالث ، كان الرجل يحمل حقيبة من الألومنيوم ، ويندفع نحو

المصعد ، ويثب داخله ، فصاح (أشرف) ، وهو ينطلق نحوه ، ملوّحًا بمسدسه :

- توقّف يا رجل ، وإلا ..

التقت ضلفتا باب المصعد ، قبل أن تكتمل صيحته ، فبترها هاتفًا :

- فليكن أيها الوغد .. سنلتقي بأسفل .

ولكن الرجل لم يهبط إلى الطابق السفلي ، كما توقّع (أشرف) ..

لقد استقلّ المصعد إلى أعلى ، وكأنه ينشد سطح المبنى وليس مدخله ..

ودون إضاعة ثانية واحدة ، وبكل ما يمتلك من قوة وسرعة ، اندفع (أشرف) يصعد في درجات السلم ، محاولاً اللحاق بالمصعد ، عبر طوابق المبنى العشرين .

ولم يكن هذا ممكنًا من الناحية العملية ..

لقد لهث بشدة ، قبل أن يبلغ الطابق العاشر ، والمصعد يواصل صعوده ، ويواصل ، ويواصل ..

وبكل الغضب في أعماقه ، صاح (أشرف) :

- يا للوغد !.. إنه يسعى لقطع أنفاسي بحق .

ولكن فجأة ، وجد المصعد الثاني مستقرًا في الطابق العاشر ، فاندفع إليه ، وهو يهتف في حرارة :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .. هذا يغيّر الأمور كثيرًا .

كان المصعد الأوّل قد تجاوز الطابق الحادي عشر بالفعل ، عندما بدأ المصعد الثاني رحلته ، وتمنى (أشرف) لو أمكنه زيادة سرعة مصعده ، كما يفعل بسيارته ، في المطاردات العنيفة ..

ولكن المصعد الأوّل بلغ السطح قبله ، فغادره الرجل ، وانطلق يعدو إلى السطح وهو يهتف عبر جهاز إرسال محدود :

- أنا هنا .. استعدوا لحظة الطوارئ .. استعدوا .

وفي نفس اللحظة ، التي وصل فيها المصعد الثاني إلى السطح ، ظهرت هليوكوبتر كبيرة من بعيد ، وهي تتجه نحو السطح مباشرة ..

واندفع (أشرف) خارج المصعد ، وهو يصوّب مسدسه إلى الرجل ، صائحًا :

- توقّف يا هذا ، وإلا أطلقت عليك النار .

التفت إليه الرجل في هدوء عجيب ، وهو يقول :

- هل تعتقد أنه يمكنك هذا حقًا ؟!

لم يفهم (أشرف) ما يعنيه الرجل ، ولكنه أدرك أن الهليوكوبتر في طريقها لالتقاطه ، وأن عليه أن يوقّع به قبل وصولها ..

حتى لو اضطر لقتله ..
لذا فقد جذب مشط مسدسه ، وهتف فى صرامة :
ـ نعم أيها الوغد .. يمكننى هذا .
أدهشه أن الرجل أمسك حقيبته الألومنيوم فى قوة ، وقال فى سخرية عصبية :
ـ أنت تستحق ما سيحدث لك إذن .
سرت موجة من التوتر فى جسد (أشرف) ، وبدا له أن الرجل متماسك أكثر من اللازم ، و ..
وفجأة ، انتبه إلى تلك الحركة عن يمينه ، فأدار فوهة مسدسه نحو مصدرها ، ولكن سيفًا اندفع نحوه فجأة ، وأصاب مسدسه ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها زناده ، فانطلقت رصاصته فى الهواء ، والمسدس يطير من يده فى عنف ..
وفى اللحظة التالية مباشرة قفز أمامه شبحان متشحان بالسواد ، من قمة رأسيهما ، وحتى أخمص أقدامهما ، فيما عدا عيونهما ، التى تطلّ منها شراسة وصرامة الدنيا كلها ..
وفى يد كل منهما ، وعلى ضوء المصباح فى مقدّمة الهليوكوبتر ، التمع نصل سيف ضخم حاد ، يرتفع متأهبًا للقتال ..

وتراجع (أشرف) فى سرعة ، وهو يتخذ وضعًا قتاليًا ، قائلاً فى توتر شديد :
ـ لست أدرى من أنتما بالضبط ، ولا ما هذا الزى الهزلى الذى ترتديانه ، ولكن حتى سيفيكما هذين لن يرهبانى ، وسأقاتل حتى الرمق الأخير ، و ..
وقبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت من الشبحين صرخة رهيبة ..
ثم انقضّا بكل قوتهما ..
وبدأ قتال رهيب ..
وغير متكافئ ..
وفى اللحظة نفسها ، كان المصعد قد بلغ الطابق الثالث ، و (ياسر) يقفز داخله ، قائلاً فى توتر :
ـ ربـاه !.. من الواضح أن الصراع قد انتقل إلى السطح .. أرجو أن أصل فى الوقت المناسب .
بدا له المصعد بطيئًا للغاية ، وهو يصعد إلى الطابق العشرين ، فغمغم فى عصبية :
ـ أسرع .. أسرع .. كل دقيقة لها ثمنها .
ولم يكد المصعد يبلغ السطح ، وينفتح بابه ، حتى اندفع (ياسر) خارجه ، وقلبه يخفق فى قوة ، ولمح الهليوكوبتر ترتفع عن السطح ، فصاح وهو ينطلق نحوها بمسدسه :

- إنهم يحاولون الفرار .

وأطلق ثلاث رصاصات خلف الهليوكوبتر ، ولكنها ابتعدت فى سرعة ، حتى اختفت فى قلب الظلام ، فهتف فى حنق :

- يا للخسارة .. لقد فروا بالفعل ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى ذلك الجسم ، الراقد على الأرض ، وسط بركة من الدم ، ولم يكد يتبين هويته ، حتى انتفض جسده فى عنف شديد ، وتراجع هاتفًا فى ارتياع :

- يا إلهى !.. (أشرف) .. يا إلهى !

فلقد بدا له المشهد رهيبًا ..

رهيبًا بحق .

* * *





وأطلق ثلاث رصاصات خلف الهليوكوبتر ، ولكنها ابتعدت فى سرعة ، حتى اختفت فى قلب الظلام ..

٧ - دماء مصرية ..

« مستحيل يا (أدهم) ! .. مستحيل ! .. » .

نطق مدير المخابرات المصرية الكلمة فى صرامة شديدة ، وهو يضرب سطح مكتبه بقبضته فى قوة ، قبل أن يستطرد فى غضب :

- أنا أعلم أنك ترغب بشدة فى السفر إلى (طوكيو) ، والدفاع عن قائدك السابق ، ضد أى خطر يواجهه هناك ، ولكن الأمر ليس بهذه البساطة يا (أدهم) .. لقد طلبت تقريرًا عاجلاً من المشرفين على إعادة تأهيلك ، وهم يؤكدون أنك تتقدم بسرعة فى برنامج استعادة اللياقة ، وأن جهدك وإصرارك جعلاك تتجاوز الجدول المعد لذلك بالفعل ، وتبلغ مستويات لم يتوقع الخبراء بلوغك إياها قبل أسبوعين آخرين ، ولكنهم يشتركون جميعًا فى رأى نهائى واحد ، وهو أنك لم تستعد كامل لياقتك بعد ، إلى الحد الذى يؤهلك لتولى مهمة معقدة بالغة الخطورة كهذه .

أجابه (أدهم) فى حزم :

- إنهم مخطئون ..

ضرب المدير سطح المكتب بقبضته ثانية ، قبل أن يقول فى حدة :

- بل أنت المخطئ يا (ن - ١) .. (فاكو يوشيدا) ليس بالخصم السهل ، وخاصة عندما يدور القتال فى أرضه .. إنه بسطوته ونفوذه واتصالاته ، أكثر قوة من (المافيا) نفسها ، وعندما يتعلق الأمر بسلامته الشخصية ، فإنه لن يتورع عن إشعال النيران فى (طوكيو) كلها ، دون أن يطرف له جفن .

قال (أدهم) فى صرامة :

- أمثال هذا الوغد يحتاجون لمن يتصدى لهم بحزم وقوة ، حتى يدركوا حجمهم الحقيقى .

قال المدير فى غضب :

- حجمه الحقيقى يفوق ما تتصوره بكثير يا (أدهم) ، والإصرار والعناد ليسا الوسيلة المثلى للتصدى له .. إنه يحتاج إلى قوة .. قوة حقيقية يا (ن - ١) .

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يتراجع ، مضيفًا :

- وهذا ما تفتقر إليه فى الوقت الحالى ، مع إصاباتك المتعددة .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول فى ضيق :

- معذرة يا سيدى .. اسمح لى بمخالفتك الرأى هذه المرة ، فأنا أعتقد أن التصدى لرجل مثل (يوشيدا) هذا ، لا يحتاج إلى القوة ، بقدر ما يحتاج إلى الخبرة وسعة الحيلة ، ولست أعتقد أننى أفتقر إلى الصفتين .

مطّ المدير شفتيه ، وهو يقول :

- هذا صحيح ، ولكن ليس من حقك أن تجازف بنفسك على الرغم منا .

قال (أدهم) فى حدة :

- سيدى .. أنا فى إجازة رسمية ، و ...

قاطعه المدير فى عصبية :

- ربما يا (ن - ١) .. ولكن مهاراتك وقدراتك ليست ملكًا خالصًا لك وحدك .. إنها هبة من الله (سبحانه وتعالى) ، ووجودك فى (مصر) ، وفى صفوف المخابرات المصرية ، ليس وليد المصادفة .. إنها حكمة من الخالق (عزّ وجلّ) ، وليس من حقك إهدار هبته دون طائل .

أجاب (أدهم) فى حزم شديد :

- إننى أدين بالكثير للواء (مدحت) يا سيدى ، وعندما أهبّ للذود عنه وحمايته ، فهذا لا يبدو لى أبدًا إهدارًا لهبة الخالق (عزّ وجلّ) دون طائل .. بل يبدو

لى أنه من المحتمل أنها وُجدت لهذا الغرض وحده .. من يدرى ؟!

صمت مدير المخابرات بضع لحظات ، أمام هذا المنطق ، قبل أن يستعيد حزمه ، ويقول فى صرامة وإصرار :

- كلاّ يا (أدهم) .. لن تذهب إلى (طوكيو) ، قبل أن تستعيد كامل لياقتك طبقًا لتقارير الخبراء .

هبّ (أدهم) واقفًا ، وهو يقول :

- الخبراء لا يمكنهم معرفة أعماقى يا سيدى ، ولا يمكنهم تقدير قدراتى الحقيقية ، عندما توضع الأمور فى نصابها الصحيح .

لوّح مدير المخابرات بسبّابته فى وجهه ، قائلاً :

- اسمع يا (أدهم) هذا الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق أزيز جهاز الاتصال الخاص بالأمور العاجلة ، فانعقد حاجبا المدير ، وهو يلتقط سماعته ، ويضعها على أذنه ، قائلاً :

- ماذا هناك .

تعلّقت عينا (أدهم) بوجه المدير وانفعالاته ، وبدا له من الواضح أن هذا الأخير يتلقّى خبرًا عنيفًا ، فقد احتقن وجهه بشدة ، وغمغم :

- رباه ؟ .. إلى هذا الحد ؟!
ثم أنهى الاتصال ، فسأله (أدهم) فى اهتمام :
- ماذا حدث يا سيّدى ؟!
رفع المدير عينيه إليه ، وهو يقول فى انفعال :
- رجال (بوشيدا) قتلوا (أشرف) .
ارتفع حاجبا (أدهم) لحظة ، قبل أن ينعقدا فى صرامة غاضبة ، والمدير يلوّح بيده ، مستطردًا فى أسف :
- ولم يقتلوه حتى بأسلوب عادى ، بل مزّقوا جسده بسيوف حادة قوية ، و ... وجزّوا عنقه .
ازداد انعقاد حاجبى (أدهم) ، وتضاعفت شدة النظرة الغاضبة الصارمة ، المطلّة من عينيه ، والمدير يتابع :
- هل رأيت ما أعنيه يا (ن - ١) ؟!.. (بوشيدا) ورجاله ليسوا مجرّد خصوم عاديين .. إنهم وحوش آدميون ، لا يمكن أن يتصدّى لهم شخص مصاب مثلك .
اعتدل (أدهم) وهو يقول :
- بالتأكيد يا سيّدى .
نطقها بجمود صارم ، جعل المدير يتطلّع إليه فى قلق متسائلاً ، قبل أن يقول فى توتر :

- (أدهم) .. ماذا يدور فى رأسك ؟!
أجابه (أدهم) بلا انفعالات :
- لا شىء يا سيّدى .. لا شىء .. اسمح لى بالانصراف ، فلقد بدأت جراحى تؤلمنى .
تطلّع إليه المدير مرة أخرى فى شك ، قبل أن يقول :
- فليكن يا (ن - ١) .. يمكنك الانصراف وقتما تشاء ، فأنت فى إجازة مرضية بالفعل .
ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة عجيبة ، وهو يغمغم :
- أعلم هذا يا سيّدى .. أعلم هذا .
انعقد حاجبا المدير فى شدة ، وهو يتابعه ببصره ، حتى انصرف من الحجرة ، وأغلق بابها خلفه فى هدوء مثير ..
وربما كان هذا الهدوء المثير ، هو أكثر ما فجرّ قلق المدير وشكوكه ..
هذا لأنه يدرك أن هدوء (أدهم) الشديد يخفى فى المعتاد عاصفة هوجاء ، تعربد فى أعماقه فى عنف ..
عاصفة تدفعه لإثبات أنه يستحق ذلك اللقب ، الذى ينفرد به فى عالم المخابرات ، والذى سيدفعه حتمًا للقيام بعمل جنونى عنيف ..

لقب الرجل ..

(رجل المستحيل) ..

* * *

انعقد حاجبا (يوشيدا) فى توتر ملحوظ ، وهو يستقبل المفتش (ياماموتو) فى مكتبه ، ويشير إليه بالجلوس ، قائلاً :

- مرحبًا يا (ياماموتو) سان .. كنت أتوقع زيارتك .

ارتسمت على شفتى المفتش ابتسامة لم ترق أبدًا لرجل الأعمال ، وخاصة عندما بدت واضحة فى صوته ، وهو يجيب :

- هذا أفضل يا (يوشيدا) سان ، فأنا أحب أن يدرك من أتعامل معهم ، أهمية الدور الذى أقوم به .

ازداد انعقاد حاجبى (يوشيدا) فى غضب ، وهو يتابعه ببصره ، حتى استقرّ فى مقعده ، ثم قال فى هدوء مستفز :

- أين كنت فى فجر يوم السبت الماضى يا (يوشيدا) .. سان ؟!

أجابه (يوشيدا) فى خشونة :

- فى منزلى .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى المفتش ، وهو يقول :

- ولديك بالطبع شهود على هذا .

أجاب (يوشيدا) :

- عشرة على الأقل .

ارتفع حاجبا المفتش فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

- عشرة شهود على الأقل لوجودك فى منزلك ، فجر أحد الأيام ؟!

.. ألا يبدو لك العدد أكثر من المنطقى يا (يوشيدا) سان ؟!

.. أنا شخصيًا لا أحد يمكن أن يجزم بوجودى فى منزلى ، فجر أى يوم من أيام الأسبوع ، لأننى - وبكل بساطة - أكون فى ذلك الوقت نائمًا فى فراشى .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى لهجة ، تحمل من السخرية أكثر مما تحمل من التساؤل :

- أم أن الأمر يختلف معك ؟

احتقن وجه (يوشيدا) ، الذى لم يعتد قط أن يناقشه شخص ما بهذا الأسلوب ، وراحت أصابعه تنقر سطح مكتبه فى عصبية ، فى حين ضمّ (ميتسو) قبضته فى

غضب ، وندت منه حركة ، وكأنه يهمّ بالانقضاض على المفتش ، الذى تطلّع إليه فى هدوء ، قائلاً :

ـ ماذا هناك يا فتى ؟! .. هل تفكر فى مهاجمتى ؟

تحرك (ميتسو) فى شىء من العصبية ، وهو يهمهم بعبارة غاضبة غير مفهومة ، فأشار إليه (يوشيدا) بالصمت ، وقال لـ (ياماموتو) فى حدة :

ـ (ميتسو) لا يهاجم رجال الشرطة الرسميين .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف بلهجة ذات مغزى :

ـ على الرغم من أنه حاصل على الحزام الأسود فى الجودو والتايكوندو .

ابتسم (ياماموتو) فى سخرية ، قائلاً :

ـ حقاً ؟!.. سيكون من الطريف إذن أن يشاهده المرء يقاتل .. فى السجن .

مرة أخرى تحرك (ميتسو) فى عصبية ، ومرة أخرى أيضاً أشار إليه (يوشيدا) ، الذى سأل المفتش فى شىء من الغضب :

ـ لماذا أنت هنا أيها المفتش ؟!

أجابه (ياماموتو) بسرعة :

ـ لقد سبق أن أخبرتك يا (يوشيدا) سان .. أنا هنا لاستجوابك ، بشأن البلاغ الذى قدّمه ضدك السفير المصرى .

لوّح (يوشيدا) بيده ، قائلاً فى حدة :

ـ إنه رجل مخرّف .. ما الذى يدفعنى لقتل صحفى سخيف مثل (موكيتا) ؟

ـ إننى حتى لم أستسغ مقالاته الفجة ، فى تلك الصحيفة الحقيرة ، التى يعمل بها ، ولم ..

قاطعه المفتش فى هدوء :

ـ يقولون : إنه كان يتتبّع واحدة من قضايا الفساد ، التى تورّط فيها بعض كبار المسئولين ، عندما قادته الوثائق إليك .

احتقن وجه (يوشيدا) ، وهو يقول فى حدة :

ـ من قال هذا الكلام السخيف ؟!

تابع (ياماموتو) ، وكأنه لم يسمع التعليق :

ـ ولكنك انتبهت إلى الأمر ، قبل أن ينشر وثائقه ، واتصلت به ، فى محاولة للتفاوض معه ، على عدم نشرها ، ثم ضربت له ذلك الموعد ، خلف المنطقة الصناعية ، وهناك قتلته ، واستوليت على الوثائق .

قال (يوشيدا) فى عصبية :

ـ سألتك من قال هذا الكلام السخيف ؟! .. من أطلق هذه الشائعة الحقيرة ؟!

هزّ (ياماموتو) كتفيه ، قائلاً :

- هذا لو أنها شائعة .

احتقن وجه (يوشيدا) مرة أخرى ، وهو يرمق المفتش بنظرة تفيض غضبًا ومقتًا ، قبل أن يسأله فى صرامة :

- كم يبلغ راتبك أيها المفتش ؟

تألقت عينا المفتش ، وهو يميل إلى الأمام ، ليسأله فى بطء :

- هل تحاول رشوتى يا (يوشيدا) سان ؟!

تراجع (يوشيدا) فى مقعده ، والتقى حاجباه فى توتر بالغ ، وانفرجت شفتاه ، وكأنه يهمّ بقول شىء ما ، لولا أن انبعث صوت من عند الباب ، قائلاً :

- ومن تحدّث عن الرشوة .

رفع (يوشيدا) عينيه إلى الباب ، وهو يقول فى حدة :

- لماذا تأخرت يا (أوهارا) ؟!.. كان ينبغى أن تحضر إلى هنا منذ نصف الساعة .

تقدّم المحامى داخل حجرة المكتب الواسعة ، وهو يحمل حقيبة كبيرة ، قائلاً :

- معذرة يا (يوشيدا) سان .. كان هناك عمل مهم ينبغى إنجازه .

ثم ألقى نظرة على المفتش ، قبل أن يكمل :

- وما كان ينبغى أن تبدأ التحقيق قبل وصولى ، مهما كانت الأسباب .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (ياماموتو) ، وهو يقول :

- ولم لا ؟!.. المفترض أن (يوشيدا) سان لا يخفى شيئًا .. أليس كذلك ؟!

أجابه (أوهارا) فى صرامة :

- القانون هو القانون .

اتسعت ابتسامة المفتش ، وهو ينهض ، قائلاً :

- بالضبط .. القانون هو القانون .

ثم رمقهما بنظرة صارمة ، قبل أن يتابع :

- والكل يخضع له .. الكبار قبل الصغار .

لم يرق القول ، فمطّ شفتيه عن آخرهما ، فى حين عقد (يوشيدا) حاجبيه فى توتر ، فعاد المفتش يبتسم ، وكأنما يروق له الأثر الذى تركه لديهما ، وشدّ قامته ، قائلاً :

- إلى اللقاء أيها السادة .. أعتقد أننا سنلتقى ثانية عما قريب .

سأله المحامى فى خشونة :

- ألن تلقى ما لديك من أسئلة ؟

تطلّع إليه (ياماموتو) لحظة فى صمت ، ثم قال :

- لقد حصلت على كل ما أحتاج إليه .

ثم غادر الحجرة فى هدوء ، دون أن ينسى إلقاء نظرة ساخرة مستفزة على (ميتسو) ، الذى زمجر فى غضب ، وندت منه حركة عصبية ، وكأنه سينقضّ عليه ، إلا أنه لم يغادر موقعه ، فى حين ظلّ (يوشيدا) صامتًا ، حتى أغلق المفتش الباب خلفه ، ثم قال فى حدة :

- هذا الحقير جرؤ على التحدُّث إلىّ بأسلوب سخيف .

وضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا :

- أقسم أن أقتله شر قتلة ، وألقى جثته للكلاب الضالة .

قال المحامى فى صرامة :

- رويدك يا (يوشيدا) سان .. إننا لم ننته بعد من إخفاء آثار الجريمة الأولى ، حتى نهمّ بارتكاب الثانية .

قال (يوشيدا) فى غضب :

- ألم تسمع ما قاله هذا الحقير ؟! .. كيف يرسل (فوجى) رجلاً كهذا ؟! .. إنه يحتاج أيضًا إلى درس قاس .

مطّ المحامى شفتيه ، قائلاً :

- (فوجى ياما) لم يعد يتحكّم فى الموقف يا (يوشيدا) سان .. لقد أفلت الزمام من يده ، بتدخل الوزير شخصيًا .

صاح فيه (يوشيدا) :

- وماذا عنك ؟! .. هل أفلت الزمام من يدك أيضًا ؟

ابتسم المحامى فى دهاء ، قائلاً :

- أنا ؟!.. مطلقًا يا (يوشيدا) سان .. (أوهارا) لا يفقد زمام الأمور قط .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

- لقد قتلنا أحد الحارسين الخاصين للسفير .

اتسعت عينا (يوشيدا) ، وهو يهتف فى حماس :

- حقًا ؟!

أشار (أوهارا) بإبهامه ، قائلاً :

- وشر قتله يا (يوشيدا) سان ، حتى إن زملاءه فى السفارة لن يغمض لهم جفن لشهر كامل ، من الحالة التى تركنا عليها جثته .

برقت عينا (يوشيدا) ، وهو يهزّ رأسه فى رضا ، قبل أن يسأل فى صرامة :

- وماذا عن السفير ؟!

أجابه (أوهارا) فى سرعة :

ـ لقد بدأ العد التنازلى لنهايته ، فـ (ناتاسون) ومقاتلوه بدءوا عملهم بالفعل ، وهم لا يميلون فى المعتاد إلى إضاعة الكثير من الوقت .

تطلع إليه (يوشيدا) بنظرة صارمة ، ثم سأل :

ـ ألن يؤدى مصرع رجل الأمن هذا إلى مضاعفة الحراسة حول السفارة ، والمزيد من إجراءات الأمن المحيطة بالسفير .

هزّ (أوهارا) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا لا يهم .

قال (يوشيدا) فى حدة :

ـ لا يهمّ ؟!

أشار (أوهارا) بيده ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا (يوشيدا) سان .. إنك تملك المال الوفير ، وأحدث وسائل التكنولوجيا المتطوّرة ، و(ناتاسون) يملك مقاتلين أشداء ، قادرين على مواجهة جيش كامل ، وعندما يجتمع هذا أو ذاك ، تصبح هناك قوة هائلة ، لا قبل لأحد بمواجهتها .

وتنهّد فى ارتياح ، قبل أن يستطرد :

ـ وهذا ماأثبتته أحداث الليلة .

صمت (يوشيدا) بضع لحظات ، قبل أن يسأله فى حزم :

ـ بغضّ النظر عن كل هذه التفاصيل .. متى يتمّ التخلص من السفير ؟!

أريد الانتهاء من هذه المشكلة بأسرع ما يمكن .. إننى أكره إضاعة الوقت فى مثل هذه الأمور .

ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتى المحامى وهو يجيب :

ـ اطمئن يا (يوشيدا) سان .. مشكلتك هذه سيتم حسمها ، من كل الوجوه ، قبل منتصف ليلة الغد .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ وهذا وعد .

★ ★ ★

ران صمت تام على القاعة الكبيرة ، أسفل المعبد البوذى فى (يوكوهاما) ، حيث جلس عشرة من مقاتلى (ناتاسون) ، فى ثيابهم الحالكة السواد ، يتابعون ما يعرض على شاشة تلفاز ضخمة ، وزعيمهم يشرح ما أمامهم ، قائلاً :

ـ ما ترونه أمامكم هو صورة بالأشعة دون الحمراء ، لأشخاص يتحركون داخل السفارة المصرية فى (طوكيو) ،

ولقد تم التقاطها بوساطة آلة تصوير خاصة ، هى أحدث ما أنتجته تكنولوجيا الإليكترونيات الدقيقة ، من مصانع عميلنا الجديد (فاكو يوشيدا) ، وهذه الآلة تلتقط الحرارة التى تبثها الأجساد الحية ، حتى ولو كانت هذه الأجساد خلف جدران سميكة ، أو نوافذ ذات زجاج أحادى الانعكاس ، كذلك الذى أضافوه إلى نوافذ السفارة .. أما الصوت الذى تسمعونه ، فقد تم تسجيله بشعاع من الليزر ، يطلق نحو الزجاج ، ثم يرتد حاملاً كل الذبذبات ، التى التقطها من اهتزازات الصوت على الزجاج ، فتتم ترجمته بجهاز حديث آخر إلى صوت مسموع (*) .

استمع إليه المقاتلون فى صمت مشوب بالاحترام ، دون أن يعلّق أحدهم بحرف واحد ، فتابع فى هدوء ، وهو يشير إلى رسم هندسى ، يحتلّ جزءًا من الجدار المجاور :

ـ ولقد تم التقاط الصور والحديث من هذه الحجرة ، وستلاحظون وجود ثلاثة ظلال لثلاثة أشخاص ، ومن

(*) هذه الأجهزة ليست من نسج الخيال ، ولكنها موجودة بالفعل فى أسواق الإليكترونيات ، منذ أواخر عام ١٩٩٥ م .

المؤسف أنه لا يمكن تمييز السفير من بينهم ، كما أن الخبراء يقولون : إنه من المحتمل أن يحدث انحراف محدود للظل عن موقع الجسم الأصلى ، مما يلغى فاعلية محاولة اغتيال تقليدية ، بوساطة بندقية مزوّدة بمنظار مقرّب .

ثم ابتسم متطلعًا إلى وجوههم ، ومكملاً :

ـ وهذا ليس الأسلوب الذى نفضّله على أية حال .

صدرت عنهم همهمة خافتة تؤيّد قوله ، فابتسم أكثر فى زهو ، ثم أشار إليهم بالصمت فى حزم ، فعادت القاعة تغرق ، فى صمت رهيب ، قطعه هو ، قائلاً :

ـ لذا فسنؤدى هذه المهمة بأسلوب فريد ، يثبت لعميلنا الجديد ، ولكل العملاء الآخرين والقادمين ، أن مقاتلى (ناتاسون) فريق فذ متميّز .. لا يمكن أن يفشل فى مهمة ، أو يعجز عن الوصول لأى هدف كان .

وتحرّك بضع خطوات فى صمت ، ثم أشار إلى شخص يجلس إلى جوار التلفاز الضخم ، فضغط زرًا ما ، تغيّرت معه الصورة على الشاشة ، وأشار هو إلى الصورة الجديدة ، قائلاً :

ـ من عيوب وسائل الأمن التكنولوجية الجديدة ، أنها تعتمد كلية على الطاقة الكهربية للعمل ، وهنا ترون

مصدر الطاقة الرئيسى ، الذى يمدّ المنطقة كلها بالتيار الكهربى ، وهو يبعد أربعة كيلو مترات عن السفارة ، وسيعمل الفريق الأوّل منكم على نسف كابلاته الرئيسية ، فى ساعة الصفر المتفق عليها ، بحيث تفقد السفارة مصدر الطاقة الرئيسى .

وأشار بيده ثانية ، فعادت الصورة تتبدّل ؛ ليتابع هو :

ـ وعندما تفقد السفارة التيار الرئيسى ، سيبدأ مولّد الطاقة الاحتياطى عمله على الفور ، خلال ثلاث ثوان فحسب ، وعندما يبدأ عمله ، سيكون الفريق الثانى قد اتخذ موقعه ، وأطلق صاروخًا على هذا المكان ، فى قبو السفارة ، حيث يوجد المولّد الاحتياطى .. ومن الضرورى أن يعبر الصاروخ تلك النافذة الصغيرة ، القريبة من الأرض ، حتى يمكنه نسف المولّد ، ولو لم يفعل ، فسينفجر فى الجدار فحسب ، وهذا يفسد الخطة كلها .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، واستطرد :

ـ ومع الإظلام التام ، الذى سيحيط بالسفارة ، ويوقف كل وسائل الأمن الآلية ، سيبدأ الفريق الرئيسى هجومه .

واتجه إلى مائدة كبيرة ، فى ركن القاعة ، وأشار إلى ما عليها ، مكملا :

ـ سيرتدى الجميع مناظير الأشعة دون الحمراء ، مع ملابسنا السوداء التقليدية ، بحيث يبدو لنا خصومنا واضحين ، فى حين نختفى نحن عن أنظارهم تمامًا .

سأله أحدهم فى اهتمام :

ـ معذرة أيها الزعيم ، ولكن كيف سنتعرّف الهدف ، وسط كل ما سيحدث من هرج ومرج .

التقط (ناتاسون) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ لن تكون فى حاجة للبحث عنه .

وصمت لحظة ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة جذلة ، مع استطرادته :

ـ سنقتل الجميع .

قالها ، وعيناه تتألقان على نحو مخيف ، وكأنما راق له أن أصدر حكمًا بالإعدام على كل العاملين بالسفارة المصرية فى (طوكيو) ..

أو أنه يستمتع كثيرًا بقرار إراقة الدماء .. الدماء المصرية ..

★ ★ ★

٨ - المال .. والقوة ..

« لن ألتزم بخطة الأمن .. »

قالها السفير فى صرامة ، وهو يعتصر ذلك المزيج من الحزن والمرارة فى أعماقه ، ويواجه رجل المخابرات (ياسر) ، وقائد أمن السفارة ، قبل أن يعضّ شفتيه فى قهر ، ويستطرد فى حدة وغضب :

- سأمارس عملى الطبيعى ، وسأعلن رسميًا أننى شفيت من ذلك المرض المزعوم ، وعدت إلى عملى .

ولوّح بقبضته فى غضب ، مضيفًا :

- سأستقبل مندوبى الدول ، وكل من يطلب مقابلتى من مواطنينا ، ولن أظلّ مختبئًا هنا فى السفارة كفأر مذعور .. فليقتلونى لو شاءوا ، ولكنهم سيدركون أنهم قتلوا رجلاً شجاعًا .

تبادل (ياسر) نظرة متوترة مع قائد الأمن ، قبل أن يقول الأوّل فى حزم :

- سيّدى السفير .. لا يمكنك التراجع الآن ، بعد حدث ما حدث .

صاح به السفير :

- لا يمكننى التراجع ؟! .. ولماذا يا رجل ؟! .. ليدفع آخرون حياتهم ثمنًا لحياتى ؟!

.. لا يا رجل المخابرات .. لست أقبل أن يموت الآخرون من أجلى.. حياتى لا تتميّز عن حياة الآخرين ، ولو أنه هناك من سيموت حتمًا ، بسبب شهادتى ، فليكن أنا ، وليس بعض الأبرياء .

بذل (ياسر) جهدًا خرافيًا ، ليخنق حزنه على مصرع زميله فى أعماقه ، وهو يشدّ قامته ، ويقول فى حزم :

- الكل هنا يؤدى واجبه يا سيادة السفير .. و(أشرف) لم يضح بحياته من أجلك ، وإنما من أجل (مصر) ، التى أسندت إليه مهمة الدفاع عنك وحمايتك ، وأنا أيضًا لن أتردد فى التضحية بحياتى من أجل واجبى .. ومن أجل (مصر) ..

هزّ السفير رأسه فى مرارة ، قائلاً :

- ولكننى لا أستطيع نسيان ما أصاب ذلك المسكين ، وما فعلوه بجثته .. لقد ذبحوه ذبحًا ، وشوّهوا جثته على نحو بشع .

قال (ياسر) ، وهو يجاهد لطرد الصورة من ذاكرته :

- لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها ياسيدى ، وأهمّ ما فى الأمر أن (أشرف) ـ رحمه الله ـ مات وهو يؤدى واجبه .

انعقد حاجبا السفير فى صرامة ، وهو يقول :

- أنا أيضًا أرغب فى الموت ، وأنا أؤدى واجبى .

أجابه قائد الأمن بسرعة :

- واجبك هو أن تبذل قصارى جهدك ؛ لتظلّ على قيد الحياة يا سيّدى السفير ، لتواصل عملك من أجل (مصر) .

قال السفير فى حدة :

- على حساب الآخرين .. أليس كذلك ؟!

كرّر (ياسر) فى حزم صارم :

- كلّ يؤدى واجبه يا سيادة السفير .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الخاص على مكتب السفير ، فالتقط هذا الأخير سمّاعته ، وهو يقول باليابانية :

- السفارة المصرية .

كان من الواضح أنه يتلقّى خبرًا بالغ الأهمية ، فقد عقد حاجبيه فى اهتمام بالغ ، واستمع فى انتباه شديد ، قبل أن يبدو عليه شىء من الارتياح ، وهو يغمغم :

- هذا عظيم .. أشكرك يا سيادة الوزير .. أشكرك كثيرًا .

وأنهى المحادثة ، وهو يرفع عينيه إلى الرجلين ، قائلاً :

- لقد تأكّدوا من مصرع الصحفى .

هتف قائد الأمن :

- حقًا .. هذا يضع الأمور فى نصابها أخيرًا .

أما (ياسر) ، فسأله فى اهتمام :

- وهل عثروا على جثته ؟!

هزّ السفير رأسه نفيًا ، وقال :

- ليس بعد .. ولكنهم أثبتوا أن الرجل ، الذى سافر إلى (تايوان) ، وابتاع المعطف الجلدى ، وأرسل البرقية إلى الجريدة ، لم يكن (موكيتا) ، كما عثروا على البطاقة الصحفية لهذا الأخير فى مسرح الجريمة ، وهذا فى رأيهم ، دليل كاف على مصرع الصحفى ، وعلى محاولة البعض لإخفاء الجريمة .

تنهّد قائد الأمن فى ارتياح ، وهو يقول :

- حمدًا لله .. إنه تطوّر جيد على الأقل .

التقى حاجبا (ياسر) ، وقال :

- ولكنه يجعل الأمور أكثر تعقيدًا وخطورة .

قال قائد الأمن في دهشة :

ـ وكيف هذا ؟

أشار (ياسر) بسبابته ، مجيبًا :

ـ إثبات مصرع الصحفي ، يقفز بالأمور إلى المرحلة الحاسمة ، بحيث أصبحت شهادة سيادة السفير شديدة الأهمية ، فوحدها تكفى لإدانة (فاكو يوشيدا) أو تبرئته ، وهذا يعنى أن الخطر المحيط بإمبراطور صناعة الإليكترونيات الدقيقة قد بلغ ذروته ، ولم يعد لديه حل بديل ، سوى القضاء على صاحب الشهادة ، وكتمانها في قبره إلى الأبد .

هتف قائد الأمن :

ـ يا إلهى ! .. هذا صحيح .

أما السفير ، فقد تراجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يفكر فيما قاله (ياسر) ..

ولقد بدا له الحديث منطقيًا ..

وإلى أقصى حد ..

لقد بلغت الأمور ذروتها ، ولم يعد أمام (يوشيدا) سوى بذل قصارى جهده للقضاء عليه ..

مهما كان الثمن ..

* * *

زفرت (هبة) فى ضيق ، وهى تجلس إلى جوار (قدرى) ، فى سيارة هذا الأخير ، وأشاحت بوجهها فى عصبية ، وهى تقول فى حنق :

ـ ماذا حدث الآن ؛ ليحمل وجهك كل هذا الحزن طوال الوقت ؟! .. (منى) استعادت معظم صحتها ، كما يؤكد الأطباء ، وتواظب على تمارين العلاج الطبيعى ، لتستعيد لياقتها ، وقدرتها على المشى ، و(أدهم) يتقدم على نحو ملحوظ ، و(جيهان) فى كامل جمالها وأناقتها ورونقها ، ولقد أوصلناها إلى المطار ، لتستقل الطائرة إلى (طوكيو) ، برغبتها وإرادتها ، فما الذى يحزنك هكذا ؟!

هزّ (قدرى) رأسه ، قائلاً :

ـ الموقف كله يحزننى يا (هبة) .. المشكلة التى يواجهها (أدهم) ، والتى منعته من السفر ، لم يمر بها فى حياته قط .. إنها تحنقه للغاية ولاشك ، وعندما يعلم أن (جيهان) قد سافرت إلى هناك ، فى حين يعجز هو عن هذا ، ستمتلئ نفسه ولاشك بمرارة لا حدود لها .

قالت فى عصبية :

ـ ولكن (أدهم) هذا ليس بالضعف الذى تصفه ،

حتى يشعر بالمرارة والألم والحنق ، لمجرد أن زميلته الجميلة قد نجحت فى السفر إلى مكان لا يمكنه السفر إليه .. المفترض أنه رجل صلب ، قوى ، لا يمكن أن يستسلم بسهولة لهذه المشاعر .

قال فى ألم :

ـ ولكنه بشر .

هتفت :

ـ كلنا بشر ، ولكن فينا الأقوياء والضعفاء ، والكبار والصغار ، والقادة والجنود ، و(أدهم) هذا من طراز القادة الكبار الأقوياء ، وهذا الطراز يمكنه تحمل الكثير ، ومقاومة الأكثر .

بدا له منطقها سليمًا ، فتمتم ، وهو يتوقف أمام منزلها :

ـ أنت على حق .

غادرت السيارة فى صمت ، معقودة الحاجبين ، وأسرعت إلى منزلها ، دون أن تلقى عليه تحية الوداع ، فتابعها ببصره فى مرارة ، وانتظر حتى اختفت ، ثم تمتم :

ـ نعم .. أنت على حق يا (هبة) .

وانطلق بسيارته عائدًا إلى منزله ، والدموع تترقرق فى عينيه ، وعقله يستعيد كل كلمة نطقت بها (هبة) .

ولكنه لم يستطع انتزاع ذلك الحزن من أعماقه ..

الحزن العميق ، الذى استقر فى وجدانه ، وحفر خطوطًا عميقة فى كيانه ، منذ رأى (أدهم) و(منى) طريحى الفراش ، بعد عودتهما من (أمريكا) ..

ومنذ بدأت هذه المشكلة ..

لقد استعاد ذكرى الأيام الخوالى ، عندما كان (أدهم) و(منى) يجوبان بلاد العالم ، ليواجها تحديًا تلو الآخر ، ويتصديا لملوك الجريمة وعمالقة المخابرات ، ويحققا الانتصار بعد الانتصار ..

ثم يقارن هذا بالأيام الحالية ..

(منى) طريحة الفراش ، وكل ما تطمح إليه هو أن تعود للمشى على قدميها ، كما يفعل الملايين ، فى كل أنحاء الدنيا ، دون أن يشغلهم الأمر ولو لحظةٍ واحدة .

و(أدهم) يقاتل لإقناع إدارة المخابرات ، بالسماح له بالسفر إلى (طوكيو) ، لحماية قائده السابق والدفاع عنه ، وهو الذى جاب أرجاء الدنيا ، وقاتل كالليث فى كل ركن منها ..

بلغ منزله وهو شارد ، وأوقف سيارته الصغيرة أمامه ، وجاهد ليدفع جسده الضخم عبر بابها ، حتى إنه لهث وهو يغلقه خلفه ، مغمغمًا :



انتفض جسد (قدرى) فى عنف ، وكاد يثب من مكانه ، لولا ثقل جسده وضخامته ..

يبدو أن (هبة) على حق فى بعض الأمور .. من الأفضل أن أبحث عن سيارة أكبر .

وصعد فى درجات السلم فى بطء كعادته ، حتى بلغ منزله ، ففتح بابه ، ودلف إليه ، و ...

« مساء الخير يا (قدرى) .. »

انتفض جسد (قدرى) فى عنف ، وكاد يثب من مكانه ، لولا ثقل جسده وضخامته ، واستدار إلى مصدر الصوت ، هاتفًا :

ـ (أدهم) .. كيف دخلت إلى هنا ؟! .. أعنى لماذا أتيت ؟! .. أعنى ..

وزفر فى قوة ؛ لينفض الذعر والتوتر عن نفسه ، قبل أن يقول :

ـ معذرة يا (أدهم) ، ولكنك أفزعتنى للغاية .

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ صدقنى يا صديقى .. لم أكن أقصد هذا .. إنما أردت أن ألتقى بك ، دون أن ينتبه أحد إلى هذا .

بدت الدهشة على وجه (قدرى) ، وهو يتجه إليه قائلاً :

ـ دون أن ينتبه أحد ؟! .. ولماذا يا صديقى ؟! ..

ألسنا صديقين حميمين ، والكل يعلم هذا ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالتأكيد يا صديقى .. بالتأكيد .

وفى نفس اللحظة التى جلس فيها (قدرى) ، نهض (أدهم) ، مكملاً :

ـ ولكن الظروف الحالية تحتم أن نلتقى سرًا .

تابعه (قدرى) ببصره ، وهو يسأله :

ـ ولماذا يا صديقى ؟!

تنهّد (أدهم) ، وصمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ أنت تعلم بالطبع أنهم لا يوافقون على سفرى إلى (طوكيو) ، ولا يحبذون هذا فى الوقت الحالى .

أجابه (قدرى) :

ـ نعم .. أعلم يا (أدهم) .. لقد انتزع منى المدير شخصيًا جواز السفر الدبلوماسى ، الذى أردت صنعه لك ، ومنعنى من تكرار هذا الأمر ، إلا بعد تقديم طلب رسمى ، وهذا يعنى أن القسم الخاص لن يسلمنى الخانات المطلوبة أبدًا .

غمغم (أدهم) فى اقتضاب :

ـ فليكن .

وعاد إلى صمته بضع لحظات أخرى ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ ولكننى وجدت حلاً لهذا .

حدّق (قدرى) فيه لحظة فى دهشة ، قبل أن يهتف :

ـ كيف يا (أدهم) ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ ستساعدنى أنت على السفر يا (قدرى) .

هتف (قدرى) فى دهشة بالغة :

ـ أنا ؟!.. ولكننى حاولت بالفعل يا (أدهم) و ...

قاطعه (أدهم) بابتسامة كبيرة :

ـ فى هذه المرة لن تحاول يا (قدرى) ، فكل ما أطلبه منك هو أن تؤدّى دورًا بسيطًا .. بسيطًا للغاية .

لم يفهم (قدرى) بالضبط ما يرمى إليه (أدهم) ، ولكنه أدرك أن لديه خطة مدهشة ؛ لتجاوز كل العقبات .

خطة ، أكدتها ابتسامته الكبيرة ..

والغامضة ..

الغامضة للغاية ..

* * *

ضرب (فاكو يوشيدا) سطح مكتبه براحته فى قوة ، وهو يصيح فى وجه محاميه الداهية (أوهارا) :

- لم يعد بإمكانى الاحتمال يا رجل .. الأمور تتطوّر فى سرعة ، وأنت وأصدقاؤك تتحركون فى بطء سخيف مستفز ، حتى إننى أتساءل : متى تنتهى هذه الغمة ؟! وهل من السليم أن أعتمد عليك وعليهم تمامًا ، أم أنه من الأفضل أن أجرى اتصالاً بأصدقائنا فى (الياكوزا) ؟!

مطّ المحامى شفتيه فى ضجر ، والتقط سيجارًا من العلبة الذهبية ، ودسّه بين شفتيه ، وهو يقول :

- لكل شىء وقته يا (يوشيدا) سان .

صاح (يوشيدا) فى حدة :

- بالتأكيد يا (أوهارا) .. لكل شىء وقته ، ولكل شىء ثمنه .. وهذا لا ينطبق على تحركاتنا وحدها ، ولكنه ينطبق على خصومنا أيضًا ، فالوقت يمنحهم الفرصة لمزيد من الإجراءات ، ولإطباق أنشوطة حبل الإعدام أكثر وأكثر حول عنقى ، وأنا لم أعد أحتمل الانتظار .

أشعل (أوهارا) سيجارة بالقدّاحة الماسية ، وهو يقول :

- لم يعد عليك أن تنتظر طويلاً يا (يوشيدا) سان .. لقد أعدّ (ناتاسون) ومقاتلوه خطتهم ، ووعدوا بتنفيذها فى تمام العاشرة من مساء اليوم .

ونفث دخان السيجارة فى عمق ، قبل أن يضيف :

- وهم قوم اعتادوا أن يفوا بوعودهم ، مهما كان الثمن .

انعقد حاجبا (يوشيدا) فى شدة ، وبدا عليه الغضب ، وهو يراقب سحب الدخان ، التى ينفثها (أوهارا) من بين شفتيه ، قبل أن يقول فى حدة :

- اطفئ هذا السيجار .

التفت إليه (أوهارا) فى دهشة ، فصرخ فى وجهه :

- اطفئه .

أسرع (أوهارا) يطفئ سيجاره ، فى منفضة كبيرة من البلّور ، وهو يقول فى اضطراب :

- كما ترغب يا (يوشيدا) سان .

لوّح (يوشيدا) بسبابته فى وجهه ، هاتفًا :

- أنت حددت الموعد ، وقلت : العاشرة مساءً ، وبناء عليه ، فسأمنحك أنت ومقاتلو (ناتاسون) هؤلاء مهلة محدودة ، حتى العاشرة والنصف من مساء اليوم ، فإما أن ينجحوا فى اغتيال ذلك السفير ، أو أنهى تعاقدى معهم .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يضيف :

- أما أنت ، فسألقى بك فعلاً من الطابق الثلاثين ،

وسأقيم حفلاً كبيراً حول أشلائك ، قبل أن أدعو كل كلب ضال فى المنطقة ، إلى الوليمة .. وأنا جاد هذه المرة .. جاد للغاية .. هل تفهم ؟!

امتقع وجه (أوهارا) ، وسعل مرتين أو ثلاثاً ، قبل أن يقول بصوت مختنق مرتجف :

- بالتأكيد يا (يوشيدا) سان .. بالتأكيد .. حتى العاشرة والنصف .

أطلق (يوشيدا) زفرة ملتهبة ، من أعمق أعماقه ، قبل أن يتراجع إلى مقعده قائلاً :

- أصدقائى فى الخارجية والداخلية حذرونى من أن مسار التحقيقات ليس فى صالحى أبداً ، وأن ذلك المفتش العنيد ، الذى كان (فوجى ياما) يتصوّر أنه أسوأ مفتشى الإدارة ، قد تحوّل بغتة إلى مقاتل شرس ، يبذل قصارى جهده لكشف الأمر ، وإثبات تهمة القتل علىّ ، والأسخف أن (فوجى) لم يعد يملك سلطة استبداله بآخر ، بعد أن تم إسناد مهمة التحقيق إليه رسمياً ، من سلطات أعلى .

ازدرد (أوهارا) لعابه ، وقال :

- حاول أن تهدأ يا (يوشيدا) سان .. إنهم لا يمتلكون

قضية محكمة بعد ، فمازالت جثة الصحفى مفقودة ، وبدونها تفقد القضية ركناً أساسياً فيها .

قال (يوشيدا) فى عصبية :

- وماذا عن الأدلة ، والبراهين ، وشهادة السفير ؟!

لوّح (أوهارا) بيده ، مجيباً :

- كلها أمور يمكن التشكيك فيها لبعض الوقت .

أجابه (يوشيدا) فى حدة :

- ومن يحبّ الأمور المعلّقة ؟

وعاد يضرب سطح مكتبه براحته ، وهو ينهض قائلاً :

- المهلة مازالت كما هى يا (أوهارا) .. لقد أصدرت أوامرى لحسم أمر المفتش ، ولم يعد أمامى سوى السفير ، ولن أمنحكم سوى الوقت الذى حددتموه بأنفسكم .

وانعقد حاجباه فى صرامة أكثر ، وهو يضيف :

- العاشرة والنصف يا (أوهارا) .. وهذا آخر ما يمكنكم الحصول عليه .

أومأ (أوهارا) برأسه موافقاً فى صمت ، وقلبه يخفق فى قوة ، وفى عقله انطلق سؤال واحد ..

ترى هل يفى (ناتاسون) ومقاتلوه بوعدهم ؟! ..

وهل ينجحون فى اغتيال السفير المصرى ، قبل انتهاء المهلة المحدودة ؟!

هل ؟! ..

* * *

ضغط المفتش (ياماموتو) فرامل سيارته القديمة فى رفق ، وهو يوقفها خلف مصنع الترانزستور القديم(*) ، الذى مازال يحمل اسم (فاكو يوشيدا) ، على الرغم من توقف إنتاجه منذ زمن طويل ، مع ظهور الدوائر السليكونية المطبوعة ، وغادرها فى حذر ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، مغمغمًا :

- لو ثبت لى أن ما استنتجته صحيحًا ، فسيعنى هذا أن الآلهة قد تخلت عنك أخيرًا يا (يوشيدا) سان .

وتوقف لحظة ؛ ليفحص المكان كله ببصره ، قبل أن يستطرد :

(*) الترانزستور : جهاز إليكترونى مصنوع من مواد شبه موصلة ، متصلة ببعضها البعض ، والمواد التى تستعمل هى فى الغالب من السليكون والجرمانيوم ، بالإضافة إلى بعض الشوائب ، وهو يؤدى المهام التى تؤديها الأنبوبة الإليكترونية المفرغة ، ولقد نال مخترعوه الثلاثة (جون باردين) ، و(والتر براتين) ، و (وليام شوكلى) جائزة نوبل عنه .

- لقد راجعت كل الأماكن ، التى يمكن أن تخفى فيها جثة الصحفى ، ولم أجد ما هو أفضل من هذا .. مصنع قديم ، مهجور ، لم يعد يرتبط بك فعليًا ، على الرغم من أنك مازلت تملكه رسميًا .. إنه مكان مثالى لهذا .

أدار عينيه مرة أخرى فى المكان ، ثم تقدم نحو الباب الخلفى للمصنع ، وعالجه ثلاث دقائق كاملة ، قبل أن يستجيب له رتاجه القديم ، ويصدر تكة خافتة ، جعلته يلتقط أنفاسه ، مغمغمًا :

- حمدًا لله .. من الواضح أننى لا أمتلك بالفعل المهارة الكافية ، للقيام بمثل هذه الأعمال .. (فوجى ياما) كان محقًا ، عندما افترض أننى الأسوأ فى الإدارة ، وأسند إلىّ هذا التحقيق .

ثم ضحك ، وهو يدفع الباب فى حذر ، مستطردًا :

- ولكننى أراهن أنه يعضّ بنان الندم الآن ، على قراره هذا .

استلّ مسدسه من غمده ، وتحرك فى حرص داخل المصنع القديم ، وعيناه تفحصان ما حوله فى اهتمام بالغ ، ثم لم تلبث عيناه أن برقتا فى لهفة ، وهو يتطلع إلى أحد الأركان ، قائلا :

- آه .. كنت واثقًا من هذا .

ففى ذلك الركن ، كانت هناك آثار أقدام واضحة ، حاول البعض إخفاء معظمها ، ولكنه لم ينتبه إلى تلك المختفية فى الركن .

وفى ارتياح ، تمتم (ياماموتو) :

ـ إنها هنا .. استنتاجى كان سليمًا .

وراح يتابع الآثار فى اهتمام بالغ ، وهو ينتقل من ركن إلى آخر ، فيفقدها تارة ، ويعاود العثور عليها تارة أخرى ..

ثم انقطعت الآثار بغتة ، عند أحد الأركان ..

وفى حيرة ، أدار (ياماموتو) عينيه فى ذلك الركن ، مغمغمًا :

ـ عجبًا ! .. الآثار تنتهى هنا ، على الرغم من أنه لا يوجد مكان واحد صالح لإخفاء الجثة .

لم يكن ذلك الركن يحوى سوى جدارين متقابلين ، ومواسير الصرف الضخمة .

وجال بخاطر (ياماموتو) أنهم أخفوا جثة (موكيتا) داخل أحد الجدارين ، أو فى قلب المواسير الضخمة ..

ولكن كل شىء كان يؤكد أن هذا لم يحدث ..

الأسمنت على الجدران يؤكد أن أحدًا لم يقترب منها ، منذ زمن طويل ، وكذلك وصلات المواسير تثبت أنها

لم تفتح قط ، منذ تم تركيبها للمرة الأولى فى الستينات .

وانعقد حاجبا (ياماموتو) فى شدة ..

لماذا امتدت الآثار إلى هذا الركن إذن ؟! ..

ولماذا حاولوا إخفاءها ، لو أنها لا تعنى شيئًا ؟! ..

لماذا ؟! ..

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، وتصاعدت فى أعماقه رائحة شك واضحة ، لم تلبث أن ملأت كيانه كله ، فتلفت حوله فى عصبية ، مغمغمًا :

ـ رباه ! ماذا لو أنهم دفعونى عمدًا للقدوم إلى هنا ؟!

وتحرك مسدسه فى حذر عصبى ، وهو يتراجع ..

ويتراجع ..

ويتراجع ..

ثم فجأة ، برز أمامه (ميتسو) ، وهو يبتسم فى سخرية ، ويعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ أهنئك أيها المفتش .. إنك لم تستغرق وقتًا طويلاً ، لتصل إلى المكان الذى وقع اختيارنا عليه .

لوّح (ياماموتو) بمسدسه فى وجهه ، قائلاً فى حدة :

ـ أيها الأوغاد .. لقد خططتم لقتلى أيضًا .. أليس كذلك ؟!

قتلتم (موكيتا) ، لأنه كشف أمركم ، والآن تحاولون قتلى ، لأننى سأثبت ارتكابكم لجريمة القتل .

اتسعت ابتسامة (ميتسو) الساخرة ، ورفع أحد حاجبيه ، وهو يقول فى لهجة متهكمة :

ـ استنتاج رائع أيها المفتش .. دعنى أهنئك مرة ثانية .. لقد استدرجناك إلى هنا بالفعل ، لنقتلك شر قتلة .

صاح (ياماموتو) فى توتر ، وهو يلوّح بمسدسه مرة أخرى فى وجهه :

ـ ومن سيمنحكم الفرصة لهذا ؟

انطلقت من حلق (ميتسو) ضحكة عالية قوية ، ترددت فى المكان كصرخة من صرخات شيطان ساخر ، قبل أن يقول :

ـ أتظننا نحتاج إلى الفرصة ؟!

ولم يكد ينتهى من عبارته ، حتى انطلقت صرخات قتالية عنيفة ، من يمين (ياماموتو) ويساره ، فاستدار إلى اليمين فى سرعة ، ورأى رجلين يهاجمانه ، فأطلق النار على أحدهما ، ثم أدار فوهة مسدسه ، ليطلق نيرانه على الثانى أيضًا ، إلا أن المهاجمين الآخرين انقضا عليه من يساره ، وركل أحدهما مسدسه

فى قوة ، فى حين هوى الثانى على عنقه بلكمة كالقنبلة ، دفعته مترين إلى الأمام ، ليستقبله المهاجم الآخر بلكمة ثانية ، أسقطته أرضًا فى عنف .

ولكن (ياماموتو) وثب واقفًا على قدميه فى خفة مدهشة ، وصدّ لكمة ثانية من أحد مهاجمى اليسار ، وكال للرجل لكمة ساحقة ، ألقت به بعيدًا ، ثم دار على عقبيه ، ليركل مهاجم اليمين فى أنفه ، قبل أن ينحنى فى خفة ، متفاديًا لكمة من مقاتل اليسار الثانى ، ثم يحطّم اثنين من أسنانه بلكمة كالصاعقة .

وفى سخرية ، صفّق (ميتسو) ، قائلاً :

ـ عظيم .. استعراض رائع أيها المفتش .

ثم اتخذ وضعًا قتاليًا ، مستطردًا فى صرامة :

ـ ولكن هل يمكنك مواصلة القتال ، مع مقاتل مثلى ؟!

قالها ، وانطلقت من حلقه صرخة قوية ، وهو يثب وثبة رائعة ، منقضًا على المفتش (ياماموتو) .

واستقبل المفتش الانقضاضة بحركة ماهرة ، ولكن (ميتسو) دار حول نفسه فى خفة ؛ ليضرب المفتش فى منتصف ظهره بقدمه فى عنف ، ويلقى به على وجهه .

وقبل أن ينهض (ياماموتو) ، وثب (ميتسو) ليدفع ركبته فى ظهره ، ثم أمسك جانبى رأسه بكفيه فى قوة ، هاتفًا :

- خسرت أيها المفتش .. خسرت .

صاح (ياماموتو) ، وهو يقاوم للتخلص من هذا الوضع المعجز :

- لو قتلتنى فيسخسر سيدك الكثير .. الرجال فى وزارة الخارجية يعلمون أننى قادم إلى هنا ، ومصرعى سيدفعهم لتفتيش المصنع جيدًا ، وسيعثرون حتمًا على جثة (موكيتا) .

قهقه (ميتسو) ضاحكًا ، هو يقول :

- دعهم يقلبون المصنع رأسًا على عقب أيها المفتش ، ولن يمكنهم العثور على واحد من أظافر ذلك الوغد.. أتعلم لماذا ؟!.. لأن جثته انتهت .. ذابت فى حوض من الحامض القوى ، ثم ألقيت فى المحيط .. لم يعد هناك أدنى أثر لها .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وانغرست أصابعه فى جانبى وجه (ياماموتو) ، وعضلات ساعديه تنقبض فى قوة ، وهو يضيف فى مقت :

- بالضبط كما سيحدث لجثتك .

صرخ (ياماموتو) :

- أيها الأوغاد القتلة .

ومع آخر حروف كلماته ، أدار (ميتسو) ذراعيه فى حركة عنيفة ، فارتفعت فى المكان فرقعة مخيفة ، جحظت معها عينا (ياماموتو) ، قبل أن يهوى رأسه ، معلنًا انتصار (يوشيدا) فى هذه الجولة ..

والانتقال إلى الجولة التالية ..

والحاسمة .

* * *



٩ - الهروب ..

دقّ (قدرى) باب حجرة مكتب مدير المخابرات ، وانتظر حتى سمع صوته يدعوه إلى الدخول ، فدفع الباب فى رفق ، ودخل إلى الحجرة ، وتطلّع لحظة إلى المدير ، الذى يقف أمام النافذة الكبيرة ، قبل أن يغلق الباب ، ويتنحنح مغمغمًا :

- أبلغونى أنك تطلب مقابلتى ، قبل بدء إجازتى يا سيِّدى المدير .

التفت إليه المدير فى بطء وتطلّع إليه فى صمت ، ثم عاد إلى مكتبه فى خطوات هادئة ، واستقرّ خلفه ، قائلا :

- أين تنوى قضاء إجازتك يا (قدرى) ؟!

أدرك (قدرى) على الفور مغزى السؤال ، فأجاب على نحو مباشر :

- فى (اليابان) يا سيِّدى .

التقى حاجبا المدير ، وهو يقول :

- إذن فما أبلغونى به صحيح .. لقد حصلت هذا الصباح

على تأشيرة سفر إلى (اليابان) ، وستستقل الطائرة بعد بضع ساعات إلى (طوكيو) .

أومأ (قدرى) برأسه إيجابًا ، وأجاب :

- هذا صحيح يا سيِّدى .

رمقه المدير بنظرة صارمة طويلة ، قبل أن يسأله :

- لماذا ؟!

صمت (قدرى) بضع لحظات ، قبل أن يهزّ كتفيه ، قائلا :

- ولِمَ لا ؟!

بدا الغضب على وجه المدير ، وهو يعتدل فى مجلسه ، ويسأل فى صرامة :

- لماذا (طوكيو) بالذات يا (قدرى) ؟!.. من طلب منك السفر إلى هناك ، فى هذه الفترة بالذات ؟!

تنهّد (قدرى) ، وأجاب :

- لا أحد يا سيِّدى ، ولكن (جيهان) سافرت إلى هناك بالفعل ، و (أدهم) لا يستطيع اللحاق بها ، فوجدت أنه من اللائق أن أفعل أنا ، حتى أكون إلى جوارها ، إذا ما احتاجت إلى مساعدة ما .

سأله المدير فى حدّة :

- وما الذى يمكنك أن تفعله من أجلها ؟

عقد (قدرى) حاجبيه ، قائلاً :

ـ ربما احتاجت إلى بعض الأوراق أو التوقيعات .

صاح به المدير فى غضب ، وهو يلوّح بيده فى وجهه :

ـ ماذا دهاك يا (قدرى) ؟!.. ماذا دهاكم جميعًا ؟!.. أنسيتم أنكم تعملون فى جهاز شديد الحساسية ؟!.. هل تصوّرتم أن كلاً منكم يمكنه أن يفعل ما يشاء ؛ لمجرّد أنه فى إجازة رسمية ؟!.. هل خطر ببال أحدكم أنكم تفسدون عملنا كله ، بتحركاتكم العشوائية هذه ؟!

قال (قدرى) معترضًا :

ـ سيّدى .. إننى فقط كنت ..

قاطعه المدير فى حدة :

ـ أنت أيضًا انضممت إلى الفريق المتمرّد فى الإدارة ، وتريد السفر إلى (طوكيو) ، دوس أنفك فى عملية بالغة الخطورة ، دون دراسة عواقب هذا .

أجابه (قدرى) فى حزم :

ـ لن أتدخل فى أى شىء مما يحدث هناك يا سيّدى .. هذا وعد ، وأنت خير من يعلم أننى لا أخلف وعدًا قط .

رمقه المدير بنظرة شك ، جعلته يستطرد :

ـ ويمكننى أن أتعهد بهذا رسميًا .

قال المدير فى عصبية :

ـ لماذا ستسافر إذن ، ما دمت لن تتدخّل فيما يحدث ؟!

صمت (قدرى) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ إنما أحاول المساعدة فحسب .

رمقه المدير بنظرة صارمة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ فليكن يا (قدرى) .. لن أحاول منعك من السفر إلى (اليابان) ، ولكننى أقسم أن أتخذ ضدك كل الإجراءات الرسمية ، وأن أوقع عليك أقصى عقوبة ممكنة ، لو أنك حاولت ، مجرّد محاولة ، أن تدس أنفك فيما يحدث هناك .. هل تفهم ؟!

ارتسمت على شفتى (قدرى) ابتسامة هادئة واثقة ، وهو يقول :

ـ اتفقنا يا سيّدى المدير .

لم يرق استسلامه الشديد للمدير ، الذى تابعه ببصره ، حتى غادر الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وضغط ثلاثة من أزراره ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ (صادق) .. ارسل اثنين من رجالنا خلف (قدرى) .. أريدهم أن يراقبوه طوال الوقت ، حتى يستقل طائرته .. راقبوا هاتفه ، وسيارته ، وكل شخص يشير إليه فى

الطريق .. إننى لا أشعر بالارتياح ، تجاه هدونه الشديد هذا ، فهو فى المعتاد شخص عاطفى ، سريع الانفعال ، وغياب عواطفه وانفعالاتـه يقلقنـى ، ويثـير شـكوكى بحق .

وصمت بضع لحظات ، ليسمع جواب الرجل ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

ـ هل من أخبار عن (أدهم) ؟!..إنه لم يحضر إلى قاعة التدريبات هذا الصباح ، والمراقبون حول منزلـه يؤكدون أنه لـم يغادره منذ مساء أمـس ، وهذا أيضًا يثير قلقى وشكوكى .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يتابع :

ـ نعـم .. هنـاك سـر خلف هذا بالتـأكيد ، ولكننـا سنتوصل إليه .. حتمًا سنفعل بإذن الله

وأنهى المحادثة ، وعقله يعمـل بكل طاقتـه ؛ لإجابـة ذلك السؤال ..

أى سر يكمن خلف كل هذا ؟!..

أى سر ؟!..

فـى نفس اللحظـة ، التـى دار فيهـا هذا السـؤال فـى ذهنه ، كان (قدرى) يبتسم فى ارتيـاح ، وهو ينطلق بسيارته ، عائدًا إلى منزله ..

لقد أدى دوره ، كما طلب (أدهم) بالضبط ..

حصل على إجازته السنوية ..

وعلى تأشيرة السفر إلى (اليابان) ..

والآن بقى أن يلعب (أدهم) دوره ..

وبنفس مهارته وبراعته المعتادتين ..

وفى اهتمام ، ألقى نظرة علـى مرآة سيارته ، بحثًا عمن يتبعه ..

لقد أكد له (أدهم) أنهم سيرسلون خلفه من يراقبه .

ولكنه لا يلمح أحدًا ..

لا يمكنه معرفة من يراقبه ..

ولا كيف يفعل هذا ..

ولكنه واثق من أن (أدهم) على حق ..

إنهم يتبعونه ويراقبونه حتمًا ، ولكنه لن يتمكـن من كشف أمرهم ؛ لأنهم يؤدون عملهم فى براعـة وحنكـة بالتأكيد ..

توقفت أفكاره ، عندمـا وصل إلى منزلـه ، ولهـث كالمعتاد ، وهو يدفع جسده خارج السيارة ، مكررًا :

ـ (هبة) على حق بالتأكيد ، فى هذا الشأن .

وصعد فى درجات السلم إلى جهة شقته ولهفته أكـبر هذه المرة ، وفتح بابها ، ليدلف إليها فـى سرعـة ، ثـم أغلقه خلفه فى إحكام ، وهو يهتف :

ـ (أدهم) .. هل انتهيت من إعداد نفسك يا صديقى ؟!

وعلى الرغم من معرفته وتوقعه لما سيراه ، لم يستطع منع قلبه من أن يخفق فى قوة ، ولا حاجبيه من أن يرتفعا مع اتساع عينيه المبهورتين ، عندما خرج (أدهم) من حجرته ، قائلاً :

ـ أنا مستعد يا صديقى ..

ففى تلك اللحظة ، لم يكن (أدهم) يشبه أية صورة معروفة له ، فى جهاز المخابرات كله ..

لقد أصبح صورة طبق الأصل من رجل آخر ..

من (قدرى) ، الذى هتف مبهورًا :

ـ رباه !.. إنك أنا بالفعل .. من يصدّق هذا ؟!.. حتى أنا نفسى لا يمكننى معرفة من منا (قدرى) الحقيقى .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ إنها ليست أول مرة أنتحل فيها شخصيتك يا صديقى(*)

هتف (قدرى) :

ـ ولكنك تزداد خبرة وبراعة فىّ كل مرة .

(*) راجع قصة (قتال الذئاب) .. المغامرة رقم (٦) .

قالها ، وهو يناوله جواز سفره ، فالتقطه (أدهم) ، وألقى نظرة سريعة على الصورة داخله ، قبل أن يقول :

ـ المهم أن أشبه الصورة فى جواز سفرك .

هتف (قدرى) :

ـ هل تمزح يا رجل ؟!.. أراهن أنه لو كانت أمى نفسها على قيد الحياة ، لما أمكنها التفرقة بيننا .. إنك مذهل فى هذا المضمار بحق يا (أدهم) ، ولست أظن أحدًا يستطيع بلوغ ما بلغته فيه .

بدت الجدية على ملامح (أدهم) ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله يا صديقى ، فهذه المهارة هى السبيل الوحيد ، لسفرى إلى (اليابان) ، فى ظل هذه الظروف .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

ولكننى أدعو الله (سبحانه وتعالى) أن أصل فى الوقت المناسب ..

نعم يا (أدهم) ..

فمع التطوّر السريع والمتلاحق فى الأحداث ، لم يعد أهم ما فى الأمر هو أن تصل إلى (طوكيو) ..

بل أن تصل فى الوقت المناسب ..

وقبل فوات الأوان ..

* * *



وألقى نظرة سريعة على الصورة داخله ، قبل أن يقول :
ـ المهم أن أشبه الصورة في جواز سفرك ..

تألقت عينا (يوشيدا) فى ظفر ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، عندما نقل إليه (ميتسو) خبر مصرع المفتش (ياما موتو) ، والتقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره فى ارتياح ، قبل أن يسأله :

ـ ماذا فعلتم بجثته ؟!

أشار (ميتسو) بيده ، وانحنى فى احترام ، وهو يجيب :

ـ نفس ما فعلناه بجثة الصحفى يا (يوشيدا) سان .

اتسعت ابتسامة (يوشيدا) أكثر ، وهو يقول :

ـ عظيم .. لن يمكنهم العثور على جثته أيضًا .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، مستطردًا :

ـ إننا نربح أرضًا جديدة ، فى كل خطوة يا (ميتسو) .

انحنى الرجل ثانية ، وهو يقول :

ـ هذا لأننا نعمل بأنفسنا يا (يوشيدا) سان .

انعقد حاجبا (يوشيدا) ، وتطلّع إليه لحظة ، قبل أن يسأله :

ـ ماذا تعنى يا (ميتسو) ؟!

أجابه فى احترام خاضع :

- أعنى أنه من الخطأ أن نضع مستقبلنا كله فى أيدى الآخرين يا (يوشيدا) سان ، مع خالص احترامى .

تنهد (يوشيدا) فى عمق ، وقال :

- أحيانًا يكون المرء مضطرًا لهذا يا (ميتسو) .

قال الرجل فى شىء من العصبية :

- لماذا يا (يوشيدا) سان ؟!.. لماذا نضطر للاستعانة بالآخرين ؟!.. لماذا لم يسند إلىّ (يوشيدا) سان مهمة قتل ذلك السفير ؟!.. إننى لم أكن لأتردد فى التضحية بحياتى نفسها ، من أجل سيدى .

مطّ (يوشيدا) شفتيه ، وقال :

- ليست لدى ذرة واحدة من الشك ، فى وفائك وإخلاصك يا(ميتسو) ، ولكن الأمور الكبيرة تحتاج إلى عمل كبير .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى حزم :

- ثم إننى أرغب فى اختبار مقاتلى (ناتاسون) هؤلاء ، ومعرفة قوتهم وإمكانياتهم ، فمن يدرى ، ربما استعنا بهم فى المستقبل .

بدا الضيق على وجه (ميتسو) ، وقال :

- هل يؤمن (يوشيدا) سان بإمكانية إحياء (النينجا)، فى زمننا هذا ؟!

أجابه (يوشيدا) فى صرامة :

إننى أومن بأن كل شىء ممكن تحقيقه ، مادمت تستطيع توفير الظروف المناسبة لهذا .

وألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يستطرد بصرامة أكثر :

- ثم إن الحقيقة لن تلبث أن تكشف عن وجهها فى وضوح ، بعد أقلّ من عشر ساعات يا(ميتسو) .

وعاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف :

- وعندئذ سنعرف جواب السؤال .. هل يمكن أن نعيد إحياء (النينجا) ، فى زمننا هذا ؟!.. هل ؟!

وبقى سؤاله هذا معلقًا ، فى انتظار ساعة محدودة .. العاشرة ..

مساءً ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة وثلاث وثلاثين دقيقة مساءً ، عندما أعاد رجل المخابرات (ياسر) سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يقول فى توتر :

- لا يمكننى العثور على المفتش (ياماموتو) ..

لقد بحثت عنه فى كل مكان ، ولكننى لم أنجح فى العثور عليه ، وهذا يثير دهشتى للغاية ، فالرجل يحمل جهاز استدعاء خاص ، والمفترض أن يمكننا الاتصال به عبره فى أية لحظة ، من الليل أو النهار .

سأله قائد الأمن فى قلق :

ـ ما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

تنهّد (ياسر) ، وهو ينهض من مقعده ، قائلاً :

ـ إما أن جهاز الاستدعاء الخاص به مصاب بعطب ما ، أو ..

لم يكمل عبارته ، فسأله قائد الأمن فى حذر ، على الرغم من توقعه للجواب :

ـ أو ماذا ؟!

رمقه (ياسر) بنظرة صامتة ، ثم أجاب فى حزم :

ـ أو أن (يوشيدا) قد قفز خطوة إلى الأمام .

انعقد حاجبا قائد الأمن فى شدة ، وأدار عينيه فى بهو السفارة ، قائلاً فى توتر شديد :

ـ الأمور تزداد تعقيداً أيها النقيب ، وأخشى أن موقف (يوشيدا) أقوى من موقفنا كثيراً .

قال (ياسر) فى حزم :

ـ لا داعى لهذه الروح الانهزامية يا رجل .

أجابه قائد الأمن فى مرارة :

ـ إنها ليست روحاً انهزامية ، بل واقع نحياه .

قال (ياسر) فى عصبية :

ـ لماذا تتصوّر أن (يوشيدا) فى موقف أقوى منا ؟!

أتاه صوت السفير ، وهو يقول فى حسم :

ـ إنه يقاتل على أرضه على الأقل .

التفت إليه (ياسر) فى توتر ملحوظ ، وهو يقول :

ـ السفارة أرض مصرية يا سيّدى .

تنهّد السفير ، وهو يدلف إلى المكان ، قائلاً :

ـ من الناحية القانونية فحسب يا رجل المخابرات ، أما من الناحية العملية ، فهى مجرّد قطعة من الأرض ، فى قلب (طوكيو) ، تحيط بها أراضٍ يابانية من كل جانب .. جزيرة فى بحر متلاطم الأمواج .

غمغم قائد الأمن :

ـ بحر مشتعل .

توتّر (ياسر) أكثر ، وهو يقول :

ـ ولكننا سنقاتل حتى آخر رمق ، ولن نستسلم أبداً .

ثم أشار بيده ، مستطرداً :

ـ ولقد طلبت حماية رسمية .

قال السفير فى دهشة :

ـ حماية رسمية ؟!

أجابه (ياسر) فى حزم :

ـ نعم يا سيادة السفير .. اتصلت برئيس الشرطة شخصيًا ، وسألته : لماذا لم يضاعفوا الحراسة حول السفارة ، ويحيطوها بطاقم حراسة إضافى ، ما دامت هناك بعض التعقيدات الأمنية ، ولقد وعد بإرسال الطاقم الخاص فى الحادية عشرة من مساء اليوم .

انعقد حاجبا قائد الأمن ، وهو يقول :

ـ إنه ليدهشنى أن رئيس الشرطة لم يرسل طاقم الحراسة الاستثنائى هذا منذ البداية .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ أمن الممكن أن ...

قاطعه (ياسر) فى قلق :

ـ هل راودك الشك ، بشأن رئيس الشرطة أيضًا ؟

تردد قائد الأمن بضع لحظات ، فقال السفير فى حزم :

ـ عندما يتعلق الأمر برجل مثل (فاكو يوشيدا) ، يمكنك أن تتوقع أى شىء .

التقى حاجبا (ياسر) فى تفكير عميق ، و ...

وفجأة ، انقطع التيار الكهربى فى السفارة ، ثم تناهى إلى مسامعهم من بعيد دوى انفجار مكتوم ، فهتف قائد الأمن فى توتر :

ـ ما هذا ؟!

وتراجع السفير ، هاتفًا :

ـ رباه !.. التيار الكهربى لم ينقطع مرة واحدة فى (طوكيو) ، منذ تسلمت عملى فيها ، منذ ثلاثة أعوام .

استلّ (ياسر) مسدسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ والمفترض ألا يحدث هذا أبدًا .

اندفع قائد الأمن عبر الردهة المظلمة ، هاتفًا :

ـ هل سمعتما الانفجار ؟!.. لقد نسفوا خطوط الطاقة الرئيسية ، حتى يسود الظلام هنا .

صاح به السفير :

ـ المولد الاحتياطى سيبدأ عمله على الفور .

ومع آخر حروف كلماته ، بدأ المولد الاحتياطى عمله بالفعل ..

وسطعت الأضواء فى المكان ..

ومع سطوعها ، وقع بصر (ياسر) ، عبر النافذة ، على شبحين متشحين بالسواد ، عند أسوار الحديقة ، وأحدهما يحمل على كتفه مدفعًا صاروخيًا ، ويصوبه إلى المبنى فى إحكام ..

وصرخ (ياسر) ، وهو يدفع السفير بعيدًا :

ـ هجوم .

ومع صرخته ، انطلق الصاروخ ..

وعبر النافذة ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار ارتج له المبنى بأكمله ، عندما نسف الصاروخ المولد الاحتياطى ..

آخر مصدر للطاقة فى السفارة ..

ومع الانفجار ، بدأ الهجوم ..

عشرة من (النينجا) قفزوا داخل حديقة السفارة ، بثيابهم السوداء للرهيبة ، وسيوفهم الحادة القوية ..

وداخل المبنى ، هتف (ياسر) ، وهو يجذب السفير بعيدًا :

ـ أسرع يا سيدى .. ارتد القناع المطاطى ، سننفذ خطة الطوارئ .

كان الجميع يندفعون خارج المبنى ، الذى أصابه صاروخ آخر ، عبر نافذة حجرة مكتب السفير ، وانفجر فيها فى عنف ..

ولكن (النينجا) اعترضوا طريقهم ..

وارتفعت السيوف الحادة ..

وهوت ..

كان الظلام دامسًا ، والجميع يعجزون عن الرؤية ..

فيما عدا مقاتلى (ناتاسون) ..

وحدهم كانوا يرتدون تلك المناظير الخاصة بالرؤية الليلية ..

لذا فقد هوت سيوفهم على الأماكن المنشودة بالضبط .

وتفجرت الدماء ..

وسقطت الرءوس ..

وارتفعت صرخات الذعر والألم ..

وفى عصبية شديدة ، هتف قائد الأمن :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!.. إننا محاصرون على نحو ما ، وهناك من يهاجمنا فى عنف ، وبأسلوب يشف عن أنه يرى ما لا نراه فى الظلام .

قال (ياسر) فى حدة :

ـ الأوغاد يرتدون مناظير الأشعة دون الحمراء .. هاهم أولاء يتفوقون علينا بنقطة أخرى .

ثم جذب السفير بعيدًا ، وهو يصيح فى قائد الأمن :

ـ مر رجالك باستخدام المصابيح اليدوية .. هذا سيصيب هؤلاء الأوغاد بعمى مؤقت ، حتى يمكننا إنقاذ السفير .

صاح السفير فى حدة :

- وماذا عن الآخرين ؟!.. ألا تسمع هذه الصرخات الرهيبة ؟!.. إنهم يقتلون الجميع بلا رحمة أو تمييز .

جذبه (ياسر) فى حزم ، هاتفًا :

- قائد الأمن ورجاله سيتولون أمرهم .

كان يبدو وكأنه يحفظ طريقه عن ظهر قلب ، وهو يعدو مع السفير داخل مبنى السفارة ، فهتف هذا الأخير فى دهشة :

- كيف تفعل هذا ؟!.. هل يمكنك الرؤية فى الظلام ؟!

أجابه (ياسر) بسرعة :

- كلا ، ولكننى اعتدت التجوّل ليلاً لتفقُّد الأمور ، دون أن أضىء المصابيح ، وهذا ما جعلنى أحفظ طريقى جيدًا .

سأله السفير فى توتر بالغ :

- إلى أين نتجه إذن ؟!

أجابه فى حزم :

- إلى القبو .. من الواضح أنهم يحاصرون السفارة ، وسيعمدون إلى قتل كل من يحاول الخروج منها ، ثم ينقضون على من بداخلها أيضًا ، ووسط الظلام والفوضى ، لن يخطر ببالهم أنك تختفى داخل نفس القبو ، الذى نسفوا فيه المولد الاحتياطى منذ قليل .

انتفض السفير فى عنف ، وهتف :

- أختفى ؟!.. هل تطلب منى أن أختبئ ، وهؤلاء الأوغاد يقتلون الجميع بلا تمييز ، للوصول إلىّ ؟!

صاح (ياسر) فى حدة :

- كفى عنادًا يا سيّدى السفير .. خروجك إليهم لن يغيّر من الأمر شيئًا ، فسيتصوّرون أنها خدعة ، وسيواصلون قتل الجميع بلا استثناء .. حاول أن تحافظ على حياتك ، حتى تفسد عليهم محاولتهم على الأقل .

هتف السفير فى مرارة :

- ولكنهم يقتلون الجميع بالفعل ، و....

قبل أن يتمّ عبارته ، تحطّم زجاج النافذة التى يتجهان نحوها مباشرة ، ووثب عبرها شبح متشح بالسواد ، ليعترض طريقهما ، وهو يطلق صرخة قتالية مخيفة ، ويشهر فى وجهيهما سيفًا ضخمًا ..

وكانت مواجهة مباغتة ..

وحاسمة ..

وعنيفة .

* * *

١٠ - اغتيال ..

برقت عينا المحامى (أوهارا) ، وهو يستمع إلى محدثه ، عبر هاتفه الخاص المحمول(*) ، وألقى نظرة على ساعته ، قائلا فى انفعال واضح :

- عظيم .. عظيم يا رجل .. أنت تستحق مكافأة لهذا الخبر .

وأنهى المحادثة ، وهو يلتفت إلى (يوشيدا) ، ويعيد الهاتف إلى جيبه ، هاتفا :

- (ناتاسون) ومقاتلوه حافظوا على وعدهم يا (يوشيدا) سان .. الهجوم بدأ فى تمام العاشرة بالفعل .

انتقل البريق إلى عينى (يوشيدا) ، وهو يقول :

- حقًا ؟!

(*) الهاتف المحمول : هاتف لاسلكى صغير الحجم ، بحيث يحمله المرء معه أينما يذهب ، وهذا النوع من الخدمة ينتشر فى (أوروبا) ومعظم بلدان العالم العربى ، ولكنه لم يبدأ فى (مصر) ، حتى لحظة كتابة هذه السطور .

أجابه (أوهارا) ، وهو يلتقط سيجارًا فاخرًا كعادته ، من علبة (يوشيدا) الذهبية ، ويشعله بالقداحة الماسية :

- لقد نسفوا خطوط الطاقة الرئيسية ، ثم مولّد الطاقة الاحتياطى ، فى قبو السفارة ، ويقومون الآن بمذبحة حقيقية ، لقتل كل الأحياء فى مبنى السفارة ، حتى لا يفلت منهم السفير ، بأى حال من الأحوال .

انعقد حاجبا (يوشيدا) ، وهو يتمتم :

- مذبحة ؟!..

أومأ (أوهارا) برأسه إيجابًا ، وهو يلتقط نفسًا عميقًا ، ثم أطلق سحب الدخان فى قوة ، قبل أن يقول :

- (ناتاسون) يكره الهزيمة يا (يوشيدا) سان ، وهو يفضّل قتل الجميع لضمان الظفر بالهدف ، على اختيار بعضهم ، مع احتمال إفلات الشخص المنشود ، ولو بالمصادفة البحتة .

ازداد انعقاد حاجبى (يوشيدا) بضع لحظات ، وكأنه يدير الأمر فى رأسه ، ثم لم يلبث أن قال فى صرامة :

- المهم أن تنزاح هذه الغمة .. وبأى ثمن .

نفث المحامى دخان سيجاره ثانية ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

- ستتزاح يا (يوشيدا) سان .. ستتزاح .

تراجع (يوشيدا) فى مقعده ، وقال :

- المهم أن ينتهى (نـاتـاسـون) هذا ومقاتلوه من العملية كلها ، قبل أن تهبّ الشرطة لمواجهة الموقف .

ابتسم (أوهارا) فى خبث ، وهو يقول :

- (فوجى ياما) وعد بعدم التدخل ، إلا بعد أن يتلقى إشارة بأن العملية قد انتهت فعليًا .

أومأ (يوشيدا) برأسه متفهمًا ، ونهض إلى نافذة حجرة مكتبه ، وأطلّ منها على ذلك الجزء المظلم من (طوكيو) ، قبل أن يغمغم :

- هل تعلم يا (أوهارا) .. لو أن كل شيء سار على ما يرام ، ونجح مقاتلو (ناتاسون) فى القضاء على السفير ، تكون مشاكلنا كلها قد انتهت بالفعل .

ألقى المحامى نظرة على ساعته ، وقال فى ارتياح :

- اطمئن يا(يوشيدا) سان .. اطمئن .

وعاد ينفث دخان سيجاره ..

وبقوة ..

* * *

قفز مقاتل (النينجا) عبر النافذة الجانبية للسفارة ، ليعترض طريق السفير و (ياسر) ، وهو يشهر سيفه

القوى فى وجهيهما ، وسط الظلام ، الذى لم يتخلله سوى ضوء القمر ، الذى تسلل عبر النافذة المحطمة ..

وعلى الضوء الخافت ، لمح الرجلان خصمهما ..

وتوقفا ..

وبسرعة مدهشة ، أطلق (ياسر) النار نحو المقاتل مباشرة ، وهو يهتف :

- ابتعد يا سيدى السفير .. أسرع .

أصابت الرصاصة صدر المقاتل مباشرة ، ودفعته لمتر كامل إلى الوراء ..

ولكنها لم تسقطه ..

فقط تراجع بحركة حادة ، ثم أطلق صرخة قتالية أكثر عنفًا ، وانقضّ بسيفه على (ياسر) ، الذى هتف :

- رباه !.. إنهم يرتدون دروعًا واقية من الرصاصات .

ثم صرخ ، وهو يتفادى ضربة سيف قوية :

- اهرب يا سيدى السفير .. اهرب .

وحاول أن يصوّب مسدسه مرة أخرى إلى المقاتل ، ولكن هذا الأخير دار حول نفسه بسرعة مذهلة ،، وهوى بسيفه مرة أخرى على يد (ياسر) ، الذى أطلق صرخة ألم رهيبة ، عندما بتر النصل الحاد ثلاثة من أصابع يده اليمنى ، وأطاح بمسدسه ليرتطم بالجدار ، ويسقط أرضًا ..



وعيناه تبرقان ببريق مخيف ، يكاد يضىء ظلمة المكان ،
وهو يستعدّ ليهوى بالسيف على رأس (ياسر) ..

ومع الدم الذى اندفع من موضع الأصابع المبتورة ، أطلق المقاتل صرخة قتالية أخرى ، وتراجع إلى الخلف بوثبة رشيقة ، ثم أمسك مقبض سيفه بيديه ، ورفعه فوق رأسه ، وعيناه تبرقان ببريق مخيف ، يكاد يضىء ظلمة المكان ، وهو يستعدّ ليهوى بالسيف على رأس (ياسر) ..

وانطلقت بغتة ثلاث رصاصات ..

انطلقت من خلف (ياسر) ، واخترقت رأس مقاتل (النينجا) ، فأطاحت به ثلاثة أمتار كاملة هذه المرة ، قبل أن يرتطم بباب مغلق ، فى نهاية الممر ، ويسقط أمامه جثة هامدة ..

والتفت (ياسر) فى دهشة إلى مصدر الرصاصات ، وهو يحاول إيقاف النزيف ، من موضع أصابعه المبتورة ، ووقع بصره على السفير ، الذى يمسك مسدسه فى قوة ، ويقول فى حزن :

ـ من حسن الحظ ، أننى استطعت التقاط مسدسك .

التقط (ياسر) منديله بيده اليسرى ، وحاول أن يلفه حول إصابة يده اليمنى ، فأسرع السفير يعاونه ، وهو يقول :

- هل رأيت ما يرتديه ؟!.. إنهم يستخدمون مناظير خاصة ، للرؤية الليلة ، باستخدام الأشعة دون الحمراء .

عضّ (ياسر) شفتيه فى ألم ، وقال مشيرًا إلى ذلك الباب ، الذى لقى المقاتل مصرعه عنده ، فى نهاية الممر :

- من الواضح أنهم مقاتلون أشداء .. هيا يا سيادة السفير .. أسرع .. لابد وأن نصل إلى القبو ، قبل أن يفاجئنا آخر .

تعاون الاثنان على إبعاد جثة المقاتل ، وانتزع (ياسر) منظاره الخاص بالرؤية الليلية ، وهو يغمغم فى ألم :

- ربما أمكننا الاستفادة به .

كان السفير يشعر بالشفقة تجاه رجل المخابرات ؛ بسبب ما أصابه ، إلا أن عناد وإصرار هذا الأخير ، جعل شعوره هذا ينقلب إلى احترام بالغ ، مع كثير من التقدير ، وهما يهبطان إلى القبو ، الذى انتشر فيه الدمار على نحو مخيف ، مع انفجار المولّد الاحتياطى .

وعبر النافذة الصغيرة ، تناهت إلى مسامعهما صرخات من تبقّ من موظفى السفارة ورجال أمنها ،

الذين تمزّقهم سيوف مقاتلى (النينجا) بلا شفقة أو رحمة ، فعضّ السفير شفتيه فى مرارة ، وهو يغمغم :

- يا للوحوش !.. كيف يمكنهم أن يفعلوا هذا ؟!

تمتم (ياسر) فى حنق :

- بل السؤال هو : كيف تركتهم الشرطة يفعلون كل هذا ؟!

سأله السفير فى توتر :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه (ياسر) ، فى مزيج من الغضب والحنق :

- الأمر شديد الوضوح يا سيدى السفير .. الشرطة هنا متواطئة مع هؤلاء الوحوش بشكل أو بآخر .. لقد تباطئوا فى إرسال طاقم الحراسة الخاص عمدًا ، ويواصلون لعبة إضاعة الوقت هذه ، حتى ينتهى الأوغاد من عملهم القذر .

هتف السفير فى حنق :

- يا للحقارة !.. ألم يتصوّروا أن ..

أمسك (ياسر) يده فجأة ، قبل أن يكمل عبارته ، وقال فى حزم ، وبصوت شديد الخفوت :

- مهلاً يا سيدى .. الصرخات بالخارج توقفت .

تمتم السفير فى توتر بالغ :

ـ وكذلك دوى الرصاصات .. من الواضح أن الجميع قد لقوا مصرعهم .

وعضّ شفتيه قهرًا وألمًا ، قبل أن يضيف فى مرارة :

ـ ويا لها من مذبحة !

أمسك (ياسر) يده فى ألم ، وهو يهمس :

ـ سيدفعون الثمن يا سيّدى السفير .. أقسم لك أنهم سيدفعون الثمن .

تنهّد السفير ، مغمغمًا :

ـ كيف يا ولدى ؟.. كيف ؟!

عضّ (ياسر) شفته بدوره ، وقال :

ـ الله (سبحانه وتعالى) يُمهل ولا يُهمل يا سيادة السفير .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعهما وقع أقدام حذرة ، تقترب من باب القبو ، فكتم الاثنان أنفاسهما ، وأرهفا سمعهما فى ترقّب متوتر ، فى انتظار ما ستُسفر عنه الأحداث ..

كان من الواضح أن المقاتلين قد توقّفوا عند جثة زميلهم ، وأن عثورهم عليها أصابهم بغضب وحنق شديدين ، فقد بدت تحركاتهم بعدها عصبية ، واقتحم

أربعة منهم القبو ، وهم يشهدون سيوفهم ، فدفع (ياسر) السفير فى حذر ، خلف أحد أجزاء المولّد الاحتياطى المدمرّ ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم وضع المنظار الخاص بالرؤية الليلية على عينيه ؛ ليراقب المقاتلين الأربعة ، وهم يتقدّمون داخل القبو ، ويديرون عيونهم فيه فى حذر متحفّز ، بحثًا عن ضحايا جدد ..

وبصوت شديد الخفوت ، همس السفير فى أذن (ياسر) ، وهو يناوله المسدس :

ـ تذكر يا ولدى .. أطلق النار على الرءوس مباشرة .

أومأ (ياسر) برأسه متفهمًا ، والتقط المسدس بيسراه ، وهو يواصل مراقبة المقاتلين ، و ...

وفجأة ، انطلق صوت غاضب ، من نافذة القبو نصف المحطّمة ..

والتفت (ياسر) والسفير إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، ووقع بصرهما على اثنين من مقاتلى (النينجا) ، يتطلعان إليهما عبر النافذة ، حيث يبدوان من مخبئهما فى وضوح ..

وكان هذا يعنى أن المواجهة صارت حتمية .. ومباشرة ..

* * *

« هل ترسل قوات معاونة يا (فوجي ياما) سان ؟! » .
ألقى أحد الضباط السؤال على رئيس الشرطة ، فى مزيج من التوتر والحيرة ، وهو يتطلع إليه في قلق ، فعقد (فوجي ياما) كفيه خلف ظهره ، وتطلع عبر نافذة مكتبه فى صمت ، أثار المزيد من توتر الضابط ، الذى قال بشيء من الحدة هذه المرة :
- لا يمكننا أن نترك الموقف على هذا النحو .. أليس كذلك ؟!.. إنها سفارة دولة أجنبية ، وعمل كهذا سيتحول حتمًا إلى مشكلة سياسية ، ما لم نتدخل بسرعة ، ونحاول إعادة الأمور إلى نصابها .
صمت (فوجي ياما) بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى بطء :
- السفارة أرض أجنبية .
قال الضابط فى عصبية :
- ولكننا المسئولون عن حمايتها ، طبقًا للقوانين والأعراف الدولية .
صمت (فوجي ياما) لحظات أخرى ، قبل أن يقول :
- سنحتاج إلى موافقة وزارة الخارجية ، و ....
قاطعه الضابط فى غضب واضح هذه المرة :
- ماذا أصابك يا (فوجي ياما) سان ؟!.. أنت تعلم

مثلى أننا المسئولون الأوائل عن حماية كل السفارات الأجنبية ، من أية مخاطر داخلية أو خارجية ، والمفترض رسميًا أن نؤدى واجبنا هذا بأقصى سرعة ممكنة ، دون استشارة أية جهة ، فلماذا تضيع الوقت على هذا النحو ؟!
ازداد انعقاد حاجبى (فوجي ياما) ، وعقله يزن الأمر كله فى سرعة ..
لقد طلب منه (أوهارا) ألا يتدخل ، إلا بعد أن تنتهى العملية كلها ..
ولكن هذا مستحيل !..
لقد استغرقت العملية أكثر مما ينبغى ، وموقفه أصبح حرجًا ودقيقًا للغاية ..
وإذا ما تعقدت الأمور ، سيصبح هو المسئول الأول ، أمام جهات التحقيق الرسمية ..
ولن يجد ما يبرر به موقفه ..
وحتى (فاكو يوشيدا) ، لن يحاول حمايته آنذاك ..
هذا هو أسلوبه ..
يدفع بسخاء ، ويشترى كل من يمكنه الإفادة منه ..
ولكنه لا يجازف فى سبيل أحد قط ..
ومهما كانت الأسباب ..

لذا ، فقد حسم (فوجى ياما) أمره فى سرعة ، والتفت إلى ضابطه ،، قائلاً فى حزم صارم :

ـ أرسل فرق مكافحة الإرهاب .

ثم أضاف ، وهو يعقد حاجبيه بشدة :

ـ وبأقصى سرعة .

أدى الضابط التحية العسكرية ، هاتفًا :

ـ أوامرك يا (فوجى ياما) سان .

ومع انطلاق الضابط لتنفيذ الأمر ، عاد حاجبا (فوجى ياما) ينعقدان فى شدة ، وهو يتساءل : هل كان قراره سليمًا هذه المرة ؟!..

هل ؟!..

★ ★ ★

لم يكن هناك مفرّ من المواجهة ..

لقد انكشف أمر (ياسر) والسفير ، وصار عليهما أن يواجها ستة من مقاتلى (النينجا) دفعة واحدة ..

ولأن (ياسر) رجل مخابرات محترف ، تلقى تدريبات مكثفة ، ويدرك جيدًا أهمية السرعة ، فى المواجهات المباشرة ، فقد وثب من مكانه ، وهو يطلق نيران مسدسه على رأس أقرب المقاتلين إليه ، هاتفًا :

ـ اهرب يا سيادة السفير .. اهرب .

وأصابت رصاصته هدفها بمنتهى الدقة ، ونسفت رأس مقاتل (النينجا) ، وأطاحت به فى عنف ، واستدار (ياسر) ليواجه مقاتلاً آخر ..

ولكن نجمة حادة شقت فراغ القبو ، وانغرست فى يده اليسرى .

وأطلق (ياسر) صرخة ألم حادة ..

ولكن العجيب أنه لم يتخلّ عن مسدسه ..

لقد ظلّ متشبثًا به فى قوة ، على الرغم من الآلام الرهيبة ، وهو يطلق النار على رأس مقاتل ثان ..

وانقضّ مقاتلو (النينجا) الأربعة الباقون على خصمهم ، وقد أدركوا قوته ومهارته ، وهوت سيوفهم على جسده بلا هوادة ..

ومزّقت السيوف الحادة ظهر (ياسر) ، وفخذه ، وجزءًا من ذراعه اليمنى ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد أطلق رصاصة ثالثة ..

وأطاح بمقاتل ثالث ..

وبكل قوته ، كرّر صرخته :

ـ اهرب يا سيدى السفير .. اهرب بالله عليك .

كان السفير يشعر بمرارة شديدة للموقف ، لعجزه عن القتال إلى جوار ذلك البطل ، ولكن هذا لم يمنعه

من التقاط كتلة معدنية ، من الموقد المحطم ، والانقضاض بها على أقرب مقاتل إليه ، صارخًا :

ـ أيها الأوغاد .

وهوى بالكتلة على رأس المقاتل ، بكل ما يملك من قوة ، وانتفض جسده مع تلك القرقعة المكتومة ، التى انطلقت من جمجمة المقاتل ، عندما تحطمت قاعدتها فى عنف ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها ثلاثة سيوف بتّارة على رجل المخابرات المصرى ..

واخترق أحد السيوف صدر (ياسر) ، فى نفس اللحظة التى أطاح فيها سيف آخر بمسدسه ، وهوى الثالث على بطنه مباشرة ..

وصرخ السفير مرة أخرى :

ـ أيها الأوغاد .

ثم انحنى يختطف منظار الرؤية الليلية ، من المقاتل الذى حطّم جمجمته ، ووضعه على عينيه ، وهو يعدو بأقصى سرعته خارج القبو ..

كان كل شىء يصطبغ أمامه بلون أخضر باهت ، ولكن الرؤية كانت واضحة إلى حد كبير ، مما سمح له بالعدو داخل السفارة ، وسط جثث القتلى وبرك الدماء ، حتى بلغ السلم ، الذى يقود إلى الطابق العلوى ، حيث

مقرّ إقامته ، فقفز فى درجات سلمه ، حتى بلغ الطابق العلوى ، فاندفع نحو حجرة نومه ، والتقط المسدس الذى يحتفظ به فى دولابه ، وتأكد من أن خزانته محشوّة بالرصاصات ، قبل أن يلقى نظرة على صورة زوجته ، المجاورة لفراشه ، ويغمغم فى توتر بالغ :

ـ لقد قتلوا الجميع يا عزيزتى .. حتى (ياسر) ، قتلوه بلا شفقة أو رحمة .. إنهم وحوش .. وحوش .

تناهى إلى مسامعه من بعيد صوت أبواق سيارات شرطة تقترب ، فبرقت عيناه فى لهفة ، وهو يقول :

ـ ربّاه !.. الشرطة أخيرًا .. يبدو أنه ما زال هناك أمل يا عزيزتى .. من يدرى ؟.. ربما التقينا ثانية ، فى هذا العالم ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اقتحم اثنان من مقاتلى (النينجا) حجرته ، وارتفعت سيوفهم فى غضب ، فرفع مسدسه إليهما ، وهو يهتف :

ـ فليكن أيها الأوغاد .. كنت أنتظر هذه المواجهة .

وتحرك الرجلان بسرعة مدهشة ..

وأطلق السفير رصاصات مسدسه ، و ..

وكانت مواجهة جديدة ..

* * *

كادت أصابع (أوهارا) تعتصر سماعة هاتفه المحمول ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف عبره في ثورة :

- ماذا ؟!.. أأنت واثق يا رجل ؟!.. ولكن هذا مستحيل !

واحتقن وجهه بشدة ، وهو يستمع إلى محدثه في انتباه شديد ، جعل (يوشيدا) ينهض من خلف مكتبه ، ويتطلع إليه في عصبية ، حتى قال :

- فليكن يا رجل . فليكن .. واصل المراقبة ، وأبلغني بالتطورات أولاً بأول .

وأنهى المحادثة في حدة واضحة ، ثم التفت إلى (فاكو يوشيدا) ، وقال في عصبية :

- الوغد (فوجي ياما) أطلق رجاله قبل الأوان .

التقى حاجبا (يوشيدا) في شدة ، وهو يقول :

- اللعنة !.. ولماذا فعل هذا ؟!

هز (أوهارا) رأسه في قوة ، وقال في حدة :

- لست أدري ، ولكن هذا كفيل بإفساد كل شيء .

احتقن وجه (يوشيدا) في شدة ، وهو يقول :

- إفساد كل شيء ؟!.. كلا .. لا يمكنني السماح بحدوث هذا قط .

سأله المحامي في مرارة :

- وماذا بيدنا لنفعله يا (يوشيدا) سان ؟!

ضرب (يوشيدا) سطح مكتبه براحته ، هاتفا :

- أي شيء يا (أوهارا) .. أنا مستعد لفعل أي شيء ، حتى ننتهي من هذا الأمر الليلة .. الآن ..

مط المحامي شفتيه ، قائلاً في توتر :

- دعنا لا نفسد الأمور ، بعد أن بلغت هذا الحد يا (يوشيدا) سان .

صاح (يوشيدا) غاضبًا :

- كفى يا (أوهارا) .. لا تتدخل الآن .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلي ، هاتفًا :

- (ميتسو) .. تعال إلى هنا فورًا .

لم تمض ثوان معدودة ، حتى دلف (ميتسو) إلى الحجرة ، وانحنى في احترام بالغ ، قائلاً :

- أمرك يا (يوشيدا) سان .

أشار إليه (يوشيدا) ، قائلاً في صرامة :

- (ميتسو) .. اسمعني جيدًا .. هناك قوة من الشرطة تتجه نحو السفارة المصرية ، في هذه اللحظة .. أريد لهذه القوة أن تتأخر لبعض الوقت ، وألا تمضي إلى السفارة مباشرة .. هل تفهم ؟!

انحنى الرجل أكثر ، وهو يقول فى حزم :
- أوامرك يا (يوشيدا) سان .
ثم اندفع يغادر المكان فى أقصى سرعة ، فقال (أوهارا) فى عصبية :
- لن أتحمّل مسئولية ما يمكن أن يحدث .
أجابه (يوشيدا) فى صرامة :
- فليكن ..
ثم عقد حاجبيه فى شدة ، مستطردًا :
- (يوشيدا) أهل لتحمّل المسئولية كاملة .
فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (ميتسو) يصدر أمرًا محدودًا ، عبر جهاز لاسلكى صغير ، لواحدة من سيارات (يوشيدا) ، التى انطلقت على الفور لتقطع الشوارع القليلة ، التى تفصل المبنى الضخم عن مسار قوة الشرطة ، التى تتجه إلى السفارة .
وعندما ظهرت سيارات الشرطة عند الناصية ، انطلقت السيارة الكبيرة ، وكأنها تحاول عبور الطريق بغتة ..
ثم انحرفت بحركة حادة ، أمام سيارات الشرطة ..
وكان لا مفرّ من الصدام ..

وبعنف ، اصطدمت سيارة المقدّمة بسيارة (يوشيدا) ، ودارت السيارتان حول بعضهما البعض فى مشهد مخيف ، قبل أن ينفجر إطار سيارة الشرطة ، وتنقلب إلى جانبها ..
وتوقّف مسار فرقة الشرطة ، مع الحادث الذى أغلق الطريق تمامًا .. وكان من الواضح أن عملية اغتيال السفير ستمضى قدمًا فى مسارها ..
وأن الأمر سيتم حسمه ، تمامًا كما قرّر (يوشيدا) .
الآن ..

★ ★ ★

تحرك مقاتلا (النينجا) بسرعة مدهشة ، لتفادى رصاصات مسدس السفير ، التى انطلقت غزيرة ، دون أن تنال منهما فعليًا ..
وانقضّ الاثنان كالعاصفة ..
وبضربة سيف قوية ، طار مسدس السفير ، فتراجع هذا الأخير بسرعة ، وهو يهتف :
- يا إلهى !.. لقد نالا منى بالفعل .
ثم وثب عبر فراشه ، منطلقًا نحو النافذة ، فقفز المقاتلان نحوه ..
ولكنه قفز عبر النافذة ..

كانت قفزة مدهشة ، لا تتناسب قط مع سنوات عمره ، ولكنها جعلته يعبر النافذة إلى الفراغ ، قبل أن يلقفه الرجلان ، ثم يهوى إلى حديقة السفارة ، من ارتفاع طابقين ..

وتأوّه السفير فى ألم ، عندما ارتطم جسده بأرض الحديقة ، وشعر بأن كتفه قد انخلعت ، إلا أنه لم يتوقّف ليتأكّد من هذا ، وإنما هبّ واقفًا على قدميه ، وانطلق محاولاً بلوغ الأسوار ..

ولكن المقاتلين قفزا خلفه من النافذة ..

وهبطا على أقدامهما فى خفة مدهشة ..

وفى الوقت ذاته ، برز ثلاثة مقاتلون آخرون ، من خلف المبنى ..

وانطلق الخمسة خلف السفير ..

وعلى الرغم من بنية الرجل القوية ، ولياقته التى يبذل جهدًا ملحوظًا للحفاظ عليها ، لحق به المقاتلون الخمسة ، قبل أن يبلغ الأسوار ..

وتوقّف الرجل مبهوتًا ، والأشباح الخمسة المتشحة بالسواد تحيط به ، فى دائرة واسعة ، وكل منهم يرفع سيفه فى شراسة ..

وهنا توقّف السفير ، وهو يلهث بشدة ..

لقد أدرك الآن فقط ، أن المعركة قد انتهت عند هذا الحد ..

وأنها النهاية ..

بلا ريب ..

* * *

« انتهى الأمر .. » .

نطق (ناتاسون) العبارة فى حزم ، وهو يجلس مع مقاتليه ، داخل الحافلة الكبيرة ، التى تنطلق بهم ، بعيدًا عن السفارة المصرية ،، وانتزع القناع الأسود ، الذى يخفى به وجهه ، وقبل أن يتابع :

ـ صحيح أننا فقدنا أربعة مقاتلين ، ولكننا حققنا الهدف من العملية ، وتأكّدنا من مصرع السفير ، مع كل فرد فى السفارة المصرية .

غمغم أحد المقاتلين :

ـ القتلى الأربعة أصابتهم رصاصات مباشرة فى رءوسهم .

قال (ناتاسون) فى حزم :

ـ نعم .. وهذا يكشف نقطة ضعف واضحة فى ملابسكم يا رجال .. إنكم ترتدون دروعًا واقية من الرصاصات ، ولكن رءوسكم لا تحميها سوى أقنعتكم ..

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

ـ وهذا يعنى أننا نحتاج إلى بعض التطوير .

تمتم مقاتل آخر :

ـ نحتاج إلى أقنعة مضادة للرصاصات أيضًا .

أشار (ناتاسون) بسبابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

غمغم مقاتل ثالث فى احترام :

ـ ولكن هذا يحتاج إلى مبلغ ضخم أيها الزعيم .

انعقد حاجبا (ناتاسون) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ ما زال (يوشيدا) يدين لنا بالكثير .

سأله مقاتل آخر :

ـ هل تعتقد أنه سيقبل تمويل عملية التطوير هذه ؟!

صمت (ناتاسون) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ لن يكون لديه بديل آخر .

تطلع إليه المقاتلون فى تساؤل ، نقله أحدهم إلى لسانه ، قائلاً :

ـ هل تعتقد أننا نستطيع إجباره على هذا ؟

أطلت ضحكة من عينى (ناتاسون) ، وهو يقول :

ـ أعتقد أنه بعد ما حققناه الليلة ، لن تجرؤ قوة فى الأرض على التصدى لنا .

ثم رفع قبضته ، ولوّح بها ، وانطلقت ضحكته مجلجلة ، قبل أن يهتف :

ـ عاش مقاتلو (ناتاسون) .

ردد مقاتلو (النينجا) الهتاف خلفه فى قوة ، والحافلة تنطلق بهم عائدة إلى ذلك المعبد فى (يوكوهاما) ..

معبد الشر ..

والجريمة ..

★ ★ ★

تألقت عينا (فاكو يوشيدا) فى ظفر ، وهو يجلس خلف مكتبه الكبير ، عندما أنهى (أوهارا) محادثته الهاتفية ، قائلاً فى حماس :

ـ فعلوها يا (يوشيدا) سان .. فعلها (ناتاسون) ورجاله .. لقد قتلوا كل من بالسفارة .

سأله (يوشيدا) فى انفعال :

ـ وماذا عن السفير ؟!

لوّح المحامى بيده ، قائلاً :

ـ لقى مصرعه فى حديقة السفارة يا (يوشيدا) سان .. وبخمس طعنات قوية ، مزقت جسده إربًا .

سأله (يوشيدا) :

- هل تأكدوا من شخصيته ؟

هتف المحامى فى حماس :

- بالطبع .. (فوجى ياما) تعرفه شخصيًا .

انطلقت من أعماق (يوشيدا) زفرة ارتياح ، والمحامى يتابع بنفس الحماس :

- والحق يقال : إن (ناتاسون) ورجاله قد أدوا دروهم ببراعة منقطعة النظير .. لقد قتلوا كل شخص فى السفارة ، فى مذبحة مالها من مثيل ، وانسحبوا فى سرعة مدهشة ، حتى أن أحدًا منهم لم يتواجد على مسافة كيلومتر كامل من مبنى السفارة ، عندما وصل رجال الشرطة .

تألقت عينا (يوشيدا) ثانية ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويتجه إلى نافذته ، ثم يتطلع عبرها فى صمت لبعض الوقت ، قبل أن يقول :

- ينبغى أن نوقع مع (ناتاسون) هذا عقدًا طويل المدى .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى المحامى ، وهو يقول :

- فكرة رائعة يا (يوشيدا) سان .. فكرة رائعة ..

صمت (يوشيدا) مرة أخرى ، وهو يراقب المدينة ، من نافذة مكتبه فى الطابق الثلاثين ، ثم قال :

- أعتقد أن هذا يحسم الأمر تمامًا يا (أوهارا) ، وبموت السفير والمفتش (ياما موتو) ، زال الخطر المحيط بنا إلى الأبد .. أليس كذلك ؟!

قهقه (أوهارا) ضاحكًا ، ولوّح بيده فى حماس ، قائلاً :

- بالتأكيد يا (يوشيدا) سان .. فبدون جثة (موكيتا) ، وتحريات (ياما موتو) ، وشهادة السفير ، لن تكون هناك قضية .. أو حتى مجرد اتهامات .

وبرقت عيناه فى ظفر ، وهو يضيف :

- لقد زال الخطر نهائيًا يا (يوشيدا) سان ، ويمكنك أن تنام ملء جفنيك .

خطأ أيها المحامى ..

صحيح أنكم نجحتم فى إخفاء كل معالم الجريمة ..

وتسببتم فى مذبحة رهيبة ، أراقت نهرًا من الدماء المصرية ..

ولكن الخطر لم يزل كما تتصورون ..

والحرب لم تضع أوزارها بعد ..

فالطائرة القادمة من (القاهرة) ، والتى ستهبط فى مطار (طوكيو) ، بعد ساعة واحدة ، تحمل إليكم بداية جديدة ، لم تخطر ببالكم قط ..

بداية تتمثّل فى رجل واحد ، يحمل اسم (أدهم صبرى) ، لن يغفر لكم أبدًا قطرة دم مصرية واحدة أرقتموها ، على مذبح الشر والقسوة والغدر ..

رجل قادر على تحدى كل قوى الشر ، وهدم المعبد على رءوس الجميع ..

(رجل المستحيل) ..

ويا لها من مواجهة جديدة ؟..

ورهيبة .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله
ويليه الجزء الثانى بإذن الله
(معبد الجريمة)

اغتيال

- ما سر جريمة القتل العنيفة ، التي وقعت في المنطقة الصناعية لمدينة (طوكيو) ؟!..
- من هو (فاكو يوشيدا) ، ولماذا يبذل قصارى جهده ، للقضاء على السفير المصري في (اليابان) ؟!..
- ترى هل يستعيد (أدهم صبري) وعيه ، ويتدخل في الوقت المناسب ، أم ينتهي الأمر بحادث (اغتيال) ؟!..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم : معبد الجريمة

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

110

الثمن في مصر ٢٠٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم